السلسبيل
في قلة سالكي السبيل

(الطـــرق شـــتى)، طريـــق الحـــق منفـــرد   والســـالكون طريـــق الحـــق أفـــراد!

"الطبعة الثانية"

تأليف

تركي بن مبارك بن عبد الله البنعلي



إهداء

إلى مشايخي الذين أخذت عنهم العلوم، وأضاءوا لي الطريق كما النجوم..

إلى من صحبتهم على الدرب وصحبوني، ونصحتهم بما ينفعهم في آخرتهم ونصحوني..

إلى شقيق الروح الأغر، وخليل القلب "**الدكتور عمر**"..

إلى من قلاهم القريب والغريب، من شباب المنهج الحق والشيب..

إلى الطلاب في المدارس والطالبات، ممن نبذهم الجميع لتمسكهم بالنصوص الشرعية والبينات..

إلى من بحث عمن يتخذه خليلاً، فرجع البصر إليه حسيراً كليلاً..

إلى من شوهت صورته في الإعلام المعاصر، وبهته كل ناقص من الناس وقاصر..

إلى إخوة التوحيد وأبناء العقيدة، في كل المناطق والبلاد العديدة..

أهدي هذا الكتاب

قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه العليم العلام؛ في غُربة الإسلام:

على الدِّينِ فليبكي ذوُو العِلم والهُدى ... فقدْ طُمسَتْ أعلامُهُ في العوالِمِ
وقدْ صارَ إقبالُ الورى واحتيالُهم ... علَى هذه الدُّنيا وجمعِ الدراهِمِ
وإصلاحِ دُنياهُم بإفسادِ دِينِهم ... وتحصيلِ ملذُوذَاتِها والمطاعِمِ
يُعادُون فيها بل يوالون أهلهَا ... سواءً لديهم ذو التُقى والجرائِمِ
إذ انتقصَ الإنسانُ مِنها بما عسَى ... يكونُ له ذخراً أَتى بالعظائِمِ
وأبدى أعاجيباً من الحزن والأسى ... على قلَّةِ الأنصارِ من كلِّ حازِمِ
وناح عليها آسفاً مُتظلِّماً ... وباح بما في صدرِهِ غير كاتِمِ
فأمَّا على الدِّين الحنيفي والهُدى ... وملَّةِ إبراهيمَ ذات الدعائِمِ
فليس عليها والذي فلق النَّوى ... مِن الناسِ باكٍ وآسٍ ونادِمِ
وقد دُرست منها المعالم بل عفت ... ولم يبق إلاَّ الاسم بين العوالِمِ
فلا آمرٌ بالعُرفِ يُعرفُ بيننا ... ولا زاجرٌ عن معضلات الجرائِمِ
وملَّةُ إبراهيمَ غُودِرَ نهجُها ... عفاءً فأصبحت طامسات المعالِمِ
وقد عُدمت فينا وكيف وقد سفت ... عليها السوافي في جميع الأقالِمِ
وما الدين إلاَّ الحبُّ والبُغضُ والولا ... كذاك البرء من كُلِّ غاوٍ وآثمِ
وليس لها من سالكٍ متمسكٍ ... بدينِ النبيِّ الأبطحيِّ ابن هاشمِ
فلسنا نرى ما حلَّ بالدين وانمحت ... به الملَّةُ السمحاءُ إحدى القواصمِ
فنأسى على التقصير منَّا ونلتجئ ... إلى اللهِ في محوِ الذنوبِ العظائِمِ
فنشكوا إلى اللهِ القلوب التي قست ... وران عليها كسبُ تلك المآثِمِ
ألسنا إذا ما جاءنا مُتضمِّخٌ ... بأوضارِ أهل الشرك من كُلِّ ظالِمِ
نهشُّ إليهم بالتحَّةِ والثنا ... ونهرعُ في إكرامهم بالولائِمِ
وقد برء المعصومُ من كُلِّ مسلمٍ ... يُقيمُ بدارِ الكُفرِ غيرُ مُصارِمِ
ولكنَّما العقل المعيشيُّ عندنا ... مسالمة العاصين من كُلِّ آثمِ

فيا محنة الإسلام مِن كُلِّ جاهلٍ ... ويا قلة الأنصارِ من كُلِّ عالِمِ

وهذا أوان الصبرِ إن كنت حازماً ... على الدين فاصبر صبر أهل العزائمِ

فمن يتمسك بالحنيفيةِ التي ... أتتنا عن المعصومِ صفوة آدمِ

لهُ أجر خمسين امرءٍ من ذوي الهدى ... من الصحبِ أصحابِ النَّبي الأكارمِ

فنح وابكِ واستنصر بربك راغباً ... إليه فإن الله أرحم راحمِ

لينصُرَ هذا الدِّين من بعد ما عفت ... معالمهُ في الأرض بين العوالمِ

وصلِّ على المعصومِ والآلِ كُلُّهم ... وأصحابه أهل التُقى والمكارمِ

بعدِّ وميضِ البرقِ والرملِ والحصى ... وما انهلَّ ودقٌ من خلال الغمائمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

الحمد لله سامع السر والنجوى، وكاشف الضر والبلوى، ومغيث المتلهف قبل الشكوى، ومبلغ المؤمل غاية أمله القصوى، يسوق الرزق في البر إلى الذر والأروى، كم أعطش عدله وكم أغبق فضله وأروى، مد أمد الحلم عن فرعون وقد أضل وأغوى، إلى أن غرق يوم اليم أين المنقلب والمثوى؟! كم آية صرحت وكم زاجرة لوحت فلم ينتفع بالصريح ولا الفحوى، بليت جوارحه وبقيت مقابحه تروى،[1] ويبس زرعه فخلا ربعه وأقوى، **وكم أهلكت الذنوب من كان أكثر منه وأقوى، (وقَومَ نُوحٍ مِن قَبلِ إنَّهُم كانُوا هُم أظلَمَ وَأَطغَى، والمُؤتِفكَة أهوى)**.

والصلاة والسلام على من جاءنا بالبر والتقوى، وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته وترك إتباع الهوى، أما بعد:

فإن من أعظم ما يصد الشبيبة عن اللحاق بركب الحق، أنهم يجدون الكثرة الكاثرة على خلاف هذا الحق، فتقصر أفهامهم عن استيعاب الحقيقة المرة، ويتساءل أحدهم مرة بعد مرة: **كيف يكون أهل الحق نزاعاً من القبائل؛ والسواد الأعظم على الباطل؟! أم كيف يكون جل العلماء في انحراف وضلال، والشيخ فلان وفلان وفلان... هم –فقط– من يُشد إليهم الرحال؟!**

قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في قواعد الجاهلية: "**إن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر ويحتجون به على صحة الشيء، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله!**".اهـ [مسائل الجاهلية (مسألة ٥)].

ولقد كنت دعوت شاباً قبل بضع سنين إلى منهج الحق، فاقتنع بما سردته عليه من الأدلة الواضحات، والبراهين النيرات، ثم وبعد أيام، جاءني وبجعبته أضغاث أحلام! يزعم أنه رآني في المنام؛ **وأنا أسير بدابتي –سيارتي– ومعي بعض الأفراد أردفهم، والناس يسيرون بدوابهم في طريق مخالف، فصاح علي أن تعال معنا، فأشرت إليه: أن لا**..اهـ

---

(١) وقيل: إن جسد فرعون المهتري المنحط، لا يزال في مصر محنط، ويدل عليه قول الله تعالى: (**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** (٩٢)) [يونس: ٩٢].

فقلت له رداً على ما يزعم: إن الدين لا يُؤخذ من المنامات، ولا تُعارض الأدلة من الكتاب والسنة بالترهات! ثم ساءلته: وما أدراك أنها رؤيا وليست حلماً؟![1] وإن كانت رؤيا فهل رؤياك وحيٌ يُوحى؟![2] ثم هل هي —عندك- أرجح من الوحيين؟!

حكا الحسن بن قحطبة أنه: "استؤذن لشريك بن عبد الله القاضي على المهدي وأنا حاضر، فقال: عليَّ بالسيف، فأُحضر.

---

(١) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا قتادة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الرؤيا من الله، **والحلم من الشيطان**) [متفق عليه].

(٢) من المقرر شرعاً: أن رؤيا الأنبياء وحي من الله؛ قال الله تعالى: (فلما بلغَ معهُ السعيَ قال يا بُني إني أرى في المنامِ أني أَذبحك) [الصافات: ١٠٢]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "**رؤيا الأنبياء وحي**".اهـ واستدل بهذه الآية. [انظر: تفسير القرطبي رحمه الله].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**) [متفق عليه].

قال محمد بن كعب: "كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاظاً **ورقوداً**؛ **فإن الأنبياء لا تنام قلوبهم**".اهـ [انظر: تفسير القرطبي رحمه الله].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أبو عبد الملك الكوندي، حدثنا سفيان بن عيينة، عن إسرائيل بن يونس، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنها، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**رؤيا الأنبياء في المنام وحي**). قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه".اهـ [تفسير القرآن العظيم ٤/٢٠].

قال الإمام ابن العربي المالكي رحمه الله: "**رؤيا الأنبياء وحي**، حسبما بيناه في كتب الأصول و"شرح الحديث"؛ **لأن الأنبياء ليس للشيطان عليهم في التخييل سبيل، ولا للاختلاط عليهم دَليل؛ وإنما قلوبهم صافية، وأفكارهم صقيلة، فما أُلقي إليهم، ونَفث به الملك في رُوعهم، وضرب المثل له عليهم: فهو حق**".اهـ [أحكام القرآن ٤/٢٧].

وقال أيضاً: "**وقد ثبت أن رؤيا الأنبياء وحي**؛ لأن الرؤيا إما أن تكون من غلبة الأخلاط كما تقول الفلاسفة وتلك أخلاط، وأيها فليس لها بالأنبياء أخلاط.. وإما أن تكون من تلاعب الشيطان، فليس للشيطان على الأنبياء سبيل في تخييل ولا تلاعب، حسبما بيناه وقررناه ومهّدناه وبسطناه".اهـ [أحكام القرآن ٤/٢٨].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "**أن رؤيا الأنبياء وحي، وأن عصمتهم في المنام كاليقظة**".اهـ[فتح الباري ٩/٢٢٧].

قال الحسن: فاستقبلتني رعدة لم أملكها، ودخل شريك فسلم، فانتضى المهدي السيف، وقال: لا سلم الله عليك يا فاسق.

فقال شريك: يا أمير المؤمنين إن للفاسق علامات يُعرف بها؛ شرب الخمور وسماع المعازف، وارتكاب المحظورات، فعلى أي ذلك وجدتني؟! قال: قتلني الله إن لم أقتلك. قال: ولِمَ ذلك يا أمير المؤمنين، ودمي حرام عليك؟

قال: لأني في المنام كأني مقبل عليك أكلمك، وأنت تكلمني من قفاك، فأرسلتُ إلى المعبّر، فسألته عنها، فقال: هذا رجل يطأ بساطك وهو يُسِرُّ خلافك. فقال شريك: يا أمير المؤمنين، **إن رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب عليهما السلام**، وإن دماء المسلمين لا تسفك بالأحلام. فنكس المهدي رأسه، وأشار إليه بيده: أن اخرج فانصرف.."اهـ.

ثم قلت لذاك الشاب الرائي، بعد أن خاب ظني فيه ورجائي: وإن صدقت رؤياك فليس فيها أي طعن في منهجي لا من قريب ولا من بعيد، بل على العكس من ذلك فهي تزكية لأهل المنهج السديد الرشيد، **إذ هم قلة غرباء، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم من الدهماء!**

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**من عرف الشرعَ كما ينبغي، وعلم حالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأحوال الصحابة، وأكابر العلماء، علم أنَّ أكثرَ الناس على غير الجادَّة، وإنما يمشون مع العادة!**".اهـ [صيد الخاطر ص١٩٥].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "**إياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون، فإنهم يقولون: لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عدداً، والناس على خلافهم!**

فاعلم أن هؤلاء هم الناس، ومن خالفهم فمشبهون بالناس، وليسوا بناس، فما الناس إلا أهل الحق؛ وإن كانوا أقلهم عدداً".اهـ [نقلاً عن "غربة الإسلام" للتويجري ١/١٢٦].

هذه صورة مصغرة واحدة، تجسد حال واقعنا الذي نشاهده؛ فالشاب من المسلمين، حين يُنعم الله عليه بالاستقامة والتمسك بالدين؛ يُقلب ناظريه في أفق الإسلاميين، فيرى أن عدد جماعة الإخوان المسلمين "في العالم **هو ١٠٠ مليون شخص**، وذلك بحسب آخر إحصاء كان قد وصله العام ٢٠٠٧" كما يقول مفوض العلاقات الدولية في جماعة الإخوان المسلمين السابق يوسف ندا في لقاء مع صحيفة "المصري اليوم"!

والصوفية قد اكتسحوا العالم برمته؛ بهضابه، وشعابه، وقراه النائية! إلا النزر اليسير، ممن رحم اللطيف الخبير.

والصولة للأشاعرة في أغلب الجامعات الشرعية في العالم، عدا بلاد الحرمين ونحوها!

ومرجئة العصر لهم الصدارة في معظم المساجد والمجالس، والمحاضر والمدارس!

وسمعت أحد التبليغيين يزعم أنه اجتمع خلال العام المنصرم **في مجمع واحد من التبليغيين ما يُقدر بـ (١٨) مليون!**

قال الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله: "**ولا يغرنَّ إخواني –حفظهم الله– كثرةُ أهل البدع، ووفورُ عددهم؛ فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة؛ إذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل)[١] والعلم هو السنة، والجهل هو البدعة.**

ومن تمسك اليوم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمل بها، واستقام عليها، ودعا بالسنة إليها؛ كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة، في أوائل الإسلام والملة؛ إذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال: (له أجر خمسين) فقيل: خمسين منهم؟ قال: (بل منكم).[٢] **وإنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته**".اهـ [عقيدة السلف وأصحاب الحديث ٣١٦].

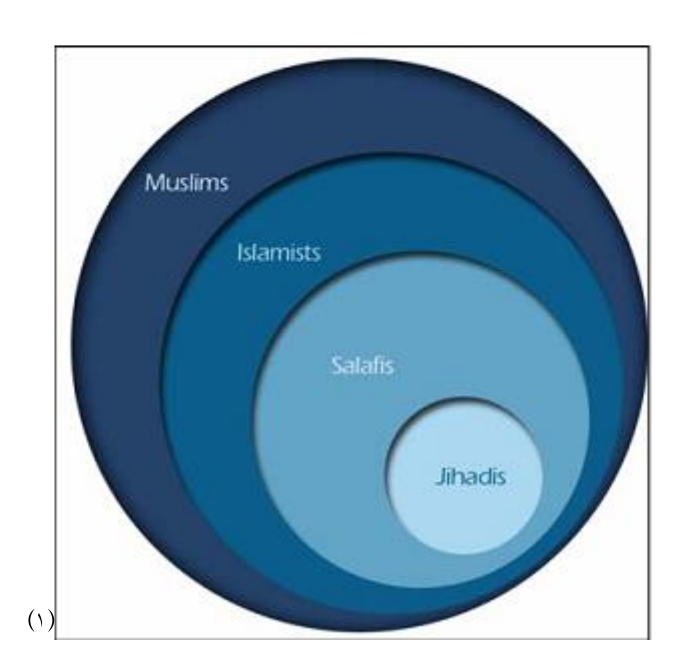
ولقد أنتج مركز مكافحة الإرهاب بأكاديمية وست بوينت العسكرية في عام ٢٠٠٦م بحثاً بعنوان: "**أطلس الأيديولوجية السلفية الجهادية**"[٣] جاءت فيه صورة دائرة تمثل الإسلام، بداخلها دائرة تمثل المتدينين أو الإسلاميين، بداخلها دائرة تمثل أدعياء السلفية، بداخلها دائرة تمثل السلفية الجهادية أو السلفية الحقيقية؛ –فهم كما قال الشيخ الإمام عبد الله عزام رحمه الله: **قليل من قليل من قليل!**–

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة.

(٣) MILITANT IDEOLOGY ATLAS



(١)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون **ولقلتهم في الناس جداً سُمُّوا غرباء**، فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات.

فأهل الإسلام في الناس غرباء. والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء. وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة –الذين يميزونها من الأهواء والبدع– منهم غرباء. والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين. هم أشد هؤلاء غربة. ولكن هؤلاء هم أهل الله حقاً، فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين".اهـ [مدارج السالكين].

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "**وأهل هذا الشأن هم غرباء الغرباء، غربتهم أعز الغربة**، فإن الغربة عند أهل الطريقة غربتان: ظاهرة وباطنة.

فالظاهرة: غُربة أهل الصلاح بين الفساق، وغربة الصادقين بين أهل الرياء والنفاق، وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق، وغربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا الذين سُلبوا الخشية والإشفاق، وغربة الزاهدين بين الراغبين فيما ينفد وليس بباق.

وأما الغربة الباطنة: فغربة الهمة، وهي غربة العارفين بين الخلق كلهم حتى العلماء والعباد والزهاد، فإن أولئك واقفون مع علمهم وعبادتهم وزهدهم، وهؤلاء واقفون مع معبودهم لا يعرجون بقلوبهم عنه".اهـ [كشف الكربة في وصف أهل الغربة ص١٢].

(١) انظر ص٥ من البحث المشار إليه.

وقال الشيخ العلامة حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله: "**وأما الغرباء فهم أهل السنة والجماعة**، وهم الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة كلها تنتسب إلى الإسلام، ووراء ذلك الأدعياء الذين ينتسبون إلى الإسلام، ويدّعونه وهم عنه بمعزل، فمنهم فئام قد لحقوا بالمشركين، وفئامٌ يعبدون الأوثان، وفئامٌ من الدهرية، وعباد الطبيعة، وفئامٌ من المعطلة والجهمية، وأفراخ القرامطة والباطنية، والحلولية والاتحادية، وغلاة الصوفية، والروافض، **فهؤلاء أدعياء الإسلام، وما أكثرهم لا كثرهم الله.**

فالفرقة الناجية بين جميع المنتسبين إلى الإسلام **كالشعرة البيضاء في الجلد الأسود،** فهم غرباء بين المنتسبين إلى الإسلام؛ فضلاً عن أعداء الإسلام من سائر الأمم، **وهم في غربتهم متفاوتون، فأهل الإسلام غرباء في الناس، وأهل الإيمان غرباء في المسلمين، وأهل العلم بالكتاب والسنة غرباء في المؤمنين، والداعون منهم إلى الخير؛ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؛ الصابرون على أذى المخالفين لهم أشد غربة، وقليلٌ ما هم. قال علي رضي الله عنه فيهم: أولئك الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً**".اهـ [غربة الإسلام ١/١٢٥-١٢٦].

وقال الشيخ مصطفى الرفاعي حفظه الله: "في هذا العصر اليهودي الأمريكي كما يزعمون ..أظلتنا أيام **أصبح فيها المسلمون في أهل الأرض الكفار غرباء .. وأصبح المصلون في مئات ملايين المسلمين غرباء .. وأصبح الملتزمون بما أمر الله ونهى من دينهم في المصلين غرباء .. وأصبح الداعون للإيمان والاعتقاد الصحيح في الملتزمين غرباء .. وأصبح الداعون إلى الله الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر في هؤلاء المؤمنين غرباء .. وأصبح الداعون لجهاد أعداء الله ودفع صائل الكفار والمرتدين والمنافقين عنها أغرب الغرباء** ..".اهـ [دعوة المقاومة ص٧٩].

فلما يرى الشاب اليافع؛ هذا الواقع، يهاله الأمر وتطرب عنده العقيدة! **ويحسب أن الكثرة؛ على الحق قرينة أكيدة، والعكس –عنده– بالعكس!**

ولذلك حاد كثير من الشباب، عن طريق الحق لما استطولوه ورأوا الصعاب، فـ (بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ)،[1] وما علموا "أن الأجر على قدر المشقة".

(١) قال الله تعالى: (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)) [الفاضحة]. قال الإمام =

ومن البشريات العجيبة الغريبة،[١] التي أرانيها ربي –تثبيتاً– في أوقات عصيبة؛ أنني لما كنت سجيناً في بعض الدول الخليجية، بسبب عقيدتي والمسائل المنهجية.[٢]

قالوا: حُبستَ، فقلت: ليس بضائِريْ حبسيْ، وأيُّ مهنَّدٍ لا يُغمَدُ؟!

والحبسُ –ما لمْ تغْشَهُ لدَنِيّةٍ تزريْ– فنعم المنزلُ المتورَّدُ

=

ابن الجوزي رحمه الله: "معنى الآية: لو كان ما دُعوا إليه عَرَضاً قريباً. والعرض: كل ما عرض لك من منافع الدنيا، فالمعنى: لو كانت غنيمة قريبة، أو كان سفراً قاصداً، أي: سهلاً قريباً لاتَّبعوك طمعاً في المال (وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) قال ابن قتيبة: الشقة: السفر. وقال الزجاج: الشقة: **الغاية التي تُقصد**. وقال ابن فارس: الشقة: **مصير إلى أرض بعيدة، تقول: شقة شاقة**".اهـ [زاد المسير إلى علم التفسير ٣/٣٣٥].

(١) قال الله تعالى: (لهم البشرى في الحياة الدنيا) [يونس:٦٤] عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال في تفسير هذه الآية: (هي الرؤيا الصالحة، يراها الرجلُ الصالحُ، أو تُرى له) [أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد صحيح٦/١٧٤، وثبت مرفوعاً من حديث أبي الدرداء، وعامر بن واثلة، وجابر، وغيرهم].

وعن أم كُرزٍ الكعبية قالت: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ذهبتِ النبوة وبقيتِ المبشرات) [أخرجه ابن ماجة وأحمد ورجاله ثقات].

لا وحي بعد نبينا يأتي إلى ... شخص ولو بلغ النهاية في التقى

لكن فضل الله قد أبقى لنا ... رؤيا تبشر أو تحذر من ردى

فهي البشارة أعطيت للمتقي ... وهي النذارة أزعجت من قد غوى

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رؤيا الرجل الصالح يراها، أو ترى له جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جُزءاً من النبوة) [أخرجه مسلم]. نسأل الله أن يجعلنا من أهل الصلاح والفلاح والنجاح.

(٢) بفضل الرحيم الرحمن، فإن لي كتاباً لم ير النور إلى الآن، بعنوان: "**سير أعلام السجناء**"، أذكر فيه أبرز أعلام المتقدمين والمتأخرين، ممن سُجنوا في سجون الظالمين.. يسر الله إتمامه وطباعته.

رأيت –فيه– فيما يرى النائم: "أنني أسير في طريق موحش قاتم، ومعي بعض الأصحاب، من الإخوة والأحباب، وأنا موقن في مسيري ذاك أن بعده فرج ونور، وفرح وسرور".

وبينما أنا أسير في ذلك الطريق، على قلة الرفيق، إذ بسلاسل السجان توقظني من نومي، وينتهي على ذلك حلمي، فأخذني ذلك السجان، ثم أعادني بعد فترة إلى زنزانتي خلف القضبان، فدعوت الله أن يتم المنام، لكي أعرف ماذا بعد ذلك المسير والإقدام!

فلزمت الفراش تلك الساعة، وأنا بين دعاء لله وضراعة، وليس لي حاجة في النوم أو رغبة، إلا انجلاء الهم ورفع تلك الكربة.. حتى غفوت، فوالذي سيبعثنا بعد الموت، رأيت فيما يرى النائم: "أنني أسير في نفس ذلك الطريق أواصل، وبدأت من حيث انتهيت قبل استيقاظي الأول –على الرغم من الفاصل–، ثم تتابعت الخطوات خطوة بعد خطوة، بهمة وثقة وقوة، فإذا بي أصل إلى ذلك القصر المنير المشيد". فاستيقظت على ذلك وأنا جد سعيد..

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "**كمن دخل في طريق مخوف مفضي إلى غاية الأمن، وهو يعلم إن صبر عليه انقضى الخوف واعقبه الأمن فهو محتاج إلى قوة صبر وقوة يقين بما يصير إليه ومتى ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق ولم يتحمل ولا سيما إن عدم الرفيق واستوحش من الوحده وجعل يقول: أين ذهب الناس فلي بهم أسوة وهذه حال أكثر الخلق وهي التي أهلكتهم، فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. فتفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق الطلب**".اهـ

فإلى كل من استوحش الطريق، وعز عليه فراق العدو والصديق، وأحزنه مخالفة أبويه وزوجه والأخ الشقيق:

جمعت ما استظهرته من الآيات القرآنية، في إبطال حجية الأكثرية، ولم أورد من الآيات إلا ذات الدلالة الواضحة، والبينات الراجحة، وقمت بترتيبها على ترتيب المصحف، فكان

تعداد ما استشهدت به على الموضوع الذي حبرت لأجله هذا الكتاب، وأنفقت فيه الوقت المستطاب[1]؛ **(١٢٨) آية، من (٤١) سورة.**

ثم حليت الأورقات بالأحاديث والآثار، ورصعتها بجميل النثر والأشعار، **حتى تكون سلسبيلاً على قلب كل غريب، وتسلية لكل أخٍ أريب، وقنديلاً لكل سالك –على الدرب– حبيب..**

ولن أطيل النفس في الحديث عن الكتاب، فهو أولى بالحديث عن نفسه بإسهاب!

والمسك ما قد شفَّ عنه ذاتُه   لا ما غَدَا ينعتُه بائِعُه!

وكتب: أبو سفيان السلمي

(١) خططت أحرف هذا الكتاب بالقلم، خلال أربع سنوات حتى خرج من بين فرث ودم! وذلك أني امتثلت فيه بما أوصانا به أحد من تتلمذنا عليهم قديماً، حيث قال: ليكن مؤلفك أو كتابك كابنك؛ ترعاه وتغذيه وتنفق عليه وقتاً طويلاً، وإياك والتسرع في إخراجه وطباعته! وكما قيل: "**الرأي الخمير، خير من الرأي الفطير**".

الآيات القرآنية
في
إبطال حجية الأكثرية

سورة البقرة:

١- (**يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً** وَيَهدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إلا الفَاسِقِين (٢٦)).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ ورأيت الناسَ يدخلون في دين الله أفواجاً) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ليخرجنَّ منه أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً)** رواه الحاكم في مستدركه وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".اهـ

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً، **وسيخرجون منه أفواجاً**) [رواه أحمد].

قال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله: "وقد ظهر مصداق هذه الأحاديث، **فخرج الناس من دين الله أفواجاً**، وعظمت الفتنة بالقبور في مشارق الأرض ومغربها، واتخذ كثير منها أوثاناً تعبد من دون الله، **وعظمت الفتنة أيضاً بالاشتراكية الشيوعية والحكم بالقوانين الوضعية**؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون".اهـ [إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ٢/٢٢٥].

قال صعصعة بن صوحان: "خرجنا مع الحجاج حاجاً إلى بيت الله الحرام. فبينما نحن في بعض الطريق إذا نحن بصوت أعرابي يلبي بين الغيضة. فلما فرغ من التلبية قال: كلامك اللهم لك، من قال مخلوق هلك، وفي الجحيم قد سلك، والجاريات في الفلك، على مجاري من سلك، قد اتبعنا رسلك، ما خاب عبد أمّلك، أنت له حيث علك.

فقال الحجاج: تلبية موحّد وربّ الكعبة. لا يفوتنكم الرجل. فأسرع ما كان حتى أُتي بأعرابي على ناقة برحاء بلحاء. فقال الحجاج: من أين أقبلت يا أخا العرب؟ وإلى أين تريد؟ قال: جئت من الفج العميق. قال: من أي الفجاج أنت؟ قال: من العراق وأرضها. قال: من أي العراق أنت؟ قال: من مدينة الحجاج بن يوسف. قال: فما سيرته فيكم؟ قال: بسيرة

فرعون في بني إسرائيل، يقتل أبناءَهم ويستحيي نساءَهم. قال: فهل خلفته ظاعناً أو مقيماً؟ قال: بل ظاعناً. قال: إلى أين؟ قال: إلى الحج ولن يتقبل الله منه. قال: وهل خلّف أحداً بعده؟ قال: نعم أخاه محمداً. قال: فما سيرته فيكم؟ قال: ظلوم غشوم، واسع البلعوم، عاص مشؤوم. قال له الحجاج: هل عرفتني؟ قال الأعرابي: اللهم لا. قال الحجاج: أنا الحجاج بن يوسف. قال الأعرابي: أشر والله ممن أظلت الخضراء، وأقلت الغبراء. ويشرب من الماء بغيض مبغوض، لعين ملعون. في الدنيا والآخرة. فقال الحجاج: والله يا أعرابي لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً قبلك. قال الأعرابي: إن لي رباً يخلصني وينجيني منك. قال: يا أعرابي إني سائلك؟ قال: إذاً والله أخبرك. فقال: أتحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم. قال: فأسمعنا. فاستفتح **وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجاً. قال: ليس هكذا يا أعرابي. قال: كيف؟ قال: يدخلون في دين الله أفواجاً. فقال الأعرابي: قد كان ذلك قبل أن يتولى الحجاج! فلما وليَّ جاؤوا يخرجون من دين الله**..".اهـ [عقلاء المجانين لأبي القاسم الحسن النيسابوري ت٤٠٦هـ ص١٥٣-١٥٤].

قلت: هذا في زمن الحجاج، فما يُقال في زمن الفتن واللجاج؟!

٢- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ **ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ** (٨٣)﴾.

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله عن أهل الصدق والصدع: "وما يخلي الله منهم عصراً من الأعصار، **غير أن هذا الضرب قد قل في هذا الزمان، فصار أعز من عنقاء مغرب**.

وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلاً　　　فقد صاروا أعزَّ من القليلِ"

فإذا كان الإمام ابن الجوزي رحمه الله المتوفى ٥٩٧هـ يقول عن زمانه؛ هذا، فماذا عسانا نحن أن نقول عن زماننا هذا؟!

٣- ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ** (١٠٠)﴾.

إن مسألة الحكم على الناس بالكفر أو الإيمان، قد ضل فيها أكثر أهل الزمان، قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان: "**وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة**، فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على

كفره، وتعدى بآخرين فكفروا من حكم الكتاب والسنة مع الإجماع بأنه مسلم".اهـ [الدرر السنية ٨/٢١٧].

وقليل هم الذين وافقوا مذهب أهل السنة في هذا الأمر، نسأل الله تعالى أن يثبتنا على السنة طوال العمر.

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله: "أما إنه ما يذهب الإسلام **ولكن يذهب أهل السنة حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد!**".اهـ [كشف الكربة في وصف أهل الغربة ص٥].

٤- (أَلَم تَرَ إلى الذينَ خَرجوا مِن دِيارهِم **وهُم أُلُوفٌ حَذَرَ المَوتِ** فَقالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُم أَحياهُم إنَّ اللهَ لَذُو فضلٍ على الناسِ **ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَشكُرُونَ** (٢٤٣)).

قال الإمام الماوردي رحمه الله: "**(حذر الموت) أنهم فروا من الجهاد**. وهذا قول عكرمة والضحاك".اهـ [النكت والعيون ١/٣١٢].

ما أشبه الليلة بالبارحة! وما أشبه الغادية بالرائحة! تأمل أيها القارئ كيف تفر الألوف المؤلفة من الإنس، من شعيرة الجهاد في سبيل الله اليوم، كما فرت بالأمس!

قال الإمام الزمخشري رحمه الله: "(فَقالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُم أَحياهُم) **وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة**، وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر، فأولى أن يكون في سبيل الله. (لَذُو فضلٍ على الناسِ) حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون، كما بصر أولئك، وكما بصركم باقتصاص خبرهم. أو لذو فضل على الناس حيث أحيي أولئك ليعتبروا فيفوزوا، ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث. والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثاً على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله".اهـ [الكشاف ١/٣١٨]. **(ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَشكُرُونَ)**.

٥- (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا **فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ** وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)).

فبين الله تعالى في هذه الآية أن الناس يعرضون عن التكاليف الشاقة كالقتال، ولا ينقاد لها إلا القليل من الرجال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال **عصابة** من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، **لا يضرهم من خالفهم**، حتى تأتيهم الساعة، وهو على ذلك) وفي رواية: (لن يبرح هذا الدين قائماً، **يُقاتل عليه عصابة من المسلمين،** حتى تقوم الساعة)[1]، وقوله: (**عصابة**) فيه دليل على القلة. قال العلامة ابن منظور رحمه الله: "**العُصبةُ والعِصابةُ: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين**".اهـ [لسان العرب ٦/٢٧٦].

---

(١) أخرجه مسلم.. وهو حديث متواتر رواه غير واحد من أهل الحديث عن بضع عشر صحابيا..

- عن معاوية رضي الله عنه يرفعه: (**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم و لا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**) [البخاري ٣٦٤١].
- عن جابر بن سمرة رضي الله عنه يرفعه: (**لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة**) [مسلم ١٣/٦٦].
- عن جابر يرفعه: (**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**) [مسلم ١٣/٦٦].
- و في رواية النسائي (٣/٢١٤) عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالسا عند رسول الله فقال رجل: يا رسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها فأقبل رسول الله بوجهه وقال: (**كذبوا الآن جاء القتال ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق و يزيغ الله لهم قلوب أقوام و يرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد الله والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وهو يوحى إلي أني مقبوض غير ملبث وأنتم تتبعوني أفنادا يضرب بعضكم رقاب بعض و عقر دار المؤمنين الشام**).
- عن المغيرة يرفعه: (**لا يزال ناس من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله**) [أحمد ٤/٢٤٨].
- عن معاوية يرفعه: (**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين و لا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة**) [مسلم ١٣/ ٦٧].
- عن معاوية يرفعه: (لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي ظاهرون على الناس ، لا يبالون من خذلهم و لا من نصرهم) [أخرجه ابن ماجة].

فــلا تــزال عصــابة تقاتــلُ حــتى تســود عقيــدتي وتُحكَّــمُ
في ســـبيل الله باقٍ دربهـــم وإن قــلّ الســالكون وردَّ مُعَمَّــمُ

وبهذا يتبين أن القائمين —اليوم– بالفريضة الغائبة، هم قلة قليلة، بينما الكثرة لهم عائبة، فلا تتضرر أيها الغريب من ذلك، ولا تلتفت إلى غيره من المسالك، ولا تنكص وتنتكس لأجل كثرة التاركين لهذه الشعيرة النبيلة، والشريعة الجليلة، قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: "**والله إنْ أبالي إذا وجدتُ ثلاث مائة يصبرون صبري لو أَجْلَبَ عليَّ أهل الأرضِ!**".اهـ [سير أعلام النبلاء ٣/٣٧٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "**وقد تكون الغربة في بعض شرائعه**، وقد يكون ذلك في بعض الأمكنة. ففي كثير من الأمكنة يخفى عليهم من شرائعه ما يصير به غريباً بينهم **لا يعرفه منهم إلا الواحد بعد الواحد. ومع هذا فطوبى لمن تمسك بالشريعة كما أمر الله ورسوله**".اهـ[1]

وقال شيخنا عاصم الحافي حفظه الله: "ومن أهم الصفات التي يجب أنْ يتحلّى بها طالب الحق الذي يحرص على أن يكون من أصحاب الطائفة المنصورة القائمة بدين الله، ويقتفي لمنهج الراسخين في العلم؛ لزوم ما تركنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، **وعدم التضرّر بالمخالفين أو المخذلين**.

فقد قال صلى الله عليه وسلم في وصف الطائفة المنصورة.. (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على أمر الله لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**).

فحذار من التضرّر بالمخالفين، أو الانحراف عن الحق أو التخلي عنه لقلّة السالكين أو لكثرة الهالكين..".اهـ [تبصير العقلاء ص١٨٢].

٦– (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ **فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ** فَلَمَّا جَاوَزَهُ

---

(١) قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله عن مراحل تشريع القتال: "وكان محرماً ثم مأذوناً به ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال **ثم مأموراً به لجميع المشركين**..".اهـ [زاد المعاد: ٢/٥٨].

هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ **قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** (٢٤٩)).

عن السدي رحمه الله قال: "لما أصبح التابوت وما فيه في دار طالوت امنوا بنبوة شمعون وسلموا ملك طالوت فخرجوا معه **وهم ثمانون ألفا** وكان جالوت من أعظم الناس وأشدهم بأساً فخرج يسير بين يدي الجند ولا يجتمع إليه أصحابه حتى يهزم هو من لقي فلما خرجوا قال لهم طالوت: (إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني) فشربوا منه هيبة من جالوت **فعبر منهم أربعة آلاف ورجع ستة وسبعون ألفا**..".اهـ وقيل: **إن من عبر منهم بعدد أهل بدر!**

مـن الأبطـال قـد صـدقَ القليـلُ	**ومـن أشـلائهم قـام الـدليلُ**
فمـنهم مـن قضـى نحبـاً وأضـحى	منـاراً يُستضـاء بـه السـبيلُ

***

سورة آل عمران:

٧- (كُنتُم خَيرَ أُمةٍ أُخرِجَت لِلناسِ تَأمُرُونَ بِالمعروفِ وتَنهونَ عن المنكرِ وتُؤمنونَ باللهِ ولو آمنَ أهلُ الكِتَابِ لكانَ خيراً لهم منهُمُ المؤمنونَ **وأكثرُهُمُ الفاسِقونَ** (١١٠)).

عن قتادة رحمه الله قال: "(منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) **ذم الله أكثر الناس**".اهـ

لذلك فإن المؤمن الصالح البار، لا يلتفت لقول الأكثرية إذا عزم وسار، عن يحيى بن المتوكل: قال سفيان –أي: الثوري-: "**إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون، فهو رجل سوء، لأنه ربما رآهم يعصون، فلا ينكر، ويلقاهم ببشر**".اهـ [سير أعلام النبلاء ٧/٢٧٨].

وقال فضيل عن سفيان: "**إذا رأيت الرجل محبباً إلى جيرانه، فأعلم أنه مُداهن**".اهـ [سير أعلام النبلاء ٧/٢٧٨].

وروى الإمام الذهبي رحمه الله بإسناده عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**رحم الله عمر؛ يقول الحق وإن كان مراً، تركه الحق وما له من صديق**).[1]

فاصدع أخا الإسلام، بطيب الكلام، وإلا فلزم الصمت، ولا تقل الباطل رهبة من الخلق أو رغبة في سحت! ولقد روي بسند صحيح مستقيم، عن أنس من قول لقمان الحكيم: "الصمت حكمة، **وقليلٌ فاعله**".اهـ

وكن من لسانك على وجل، وضع نصب عينيك حديث معاذ بن جبل، حيث قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (..ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟) فقلت له: بلى يا نبي الله. فأخذ بلسانه فقال: (كف عليك هذا) فقلت: يا رسول الله وأنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! فقال: (**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**) [أخرجه الترمذي وأحمد وصححه الألباني والأرنؤوط].

***

سورة النساء:

٨- (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ **قَلِيلٌ مِّنْهُمْ** وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦)).

قال شيخنا عاصم الحافي حفظه الله: "**وعلى الموحد أن لا ينحرف عن الطريق أو يستوحش أو يفتر عن المسير لقلة السالكين وكثرة المخالفين ولا يقل: (أين ذهب الناس وما بالهم زهدوا بهذه الطريق فإن لي بهم أسوة)؟؟ فإن هذا من أسباب هلاك أكثر الخلق وسقوطهم**.. ولينج بنفسه وأهله، **وليشح بدينه وعقيدته**، وليكن كما قال بعض الصحابة في البلاء: (إن عرض بلاء فقدم مالك دون نفسك، **فإن تجاوز البلاء فقدم نفسك دون دينك فإن المحروم من حرم دينه وإن المسلوب من سلب دينه**)[2].."اهـ [كشف النقاب ص١٧٢].

ولذلك فإن الشريعة جاءت لحفظ الضروريات الست أو الخمس، كما أوضح أهل العلم ذلك كوضوح الشمس، وعند تزاحم هذه الضروريات، تقدم الأمور العالية على الدنيات.

---

(١) انظر: ترجمة ابن الأنباري في سير أعلام النبلاء.

(٢) قال ابن حجر في المطالب العالية: "صحيح موقوف".

قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "(الضروريات) وهي درء المفاسد: إنما هي درؤها عن ستة أشياء.

الأول: **(الدين)**: وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه كما قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ). وقال صلى الله عليه و سلم: (من بدل دينه فاقتلوه).[1]

الثاني: **(النفس)**: أوجب الله عز وجل القصاص درءاً للمفسدة عن النفس، كما قال سبحانه: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ)..

الثالث: **(العقل)**: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)).

وللمحافظة على العقل أوجب صلى الله عليه وسلم حد الشارب درءاً للمفسدة عن العقل.

الرابع: **(النسب)**: حيث حرم الله عز و جل الزنا وأوجب فيه الحد الرادع، قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا). وقال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، وأوجب العدة على النساء عند المفارقة بطلاق أو موت؛ محافظة على الأنساب، قال تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ). وقال: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا).

الخامس: **(العرض)**: فنهى سبحانه المسلم أن يتكلم في أخيه بما يؤذيه قال تعالى: (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) وقال: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). وأوجب عليه إن رماه بفرية حد القذف ثمانين

---

(١) قلت: أخرجه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وفي لفظ ابن ماجه: (من جحد آية من القرآن فقد حل ضرب عنقه).

جلدة، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ).

السادس: (المال): للمحافظة عليه و درء المفسدة عنه منع الله عز وجل أخذه بغير حق شرعي، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ).

وأوجب على السارق حد السرقة وهو قطع اليد، قال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)".اهـ [أضواء البيان].

ومعرفة هذا التأصيل هو أحد التخريجات لقولنا بجواز العمليات الاستشهادية، والغزوات الفدائية؛ فحفظ الدين مقدم على حفظ النفس، ولأن يمزق الموحد أحب إليه من أن ينال من دينه ويُمس،[1] فسلامة المنهج، مقدمة على سلامة المهج، وبذل الحياة، دون بذل ماء المحيى..

ولستُ أُبالي حين أُقتل مسلماً ... على أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي!

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلوٍ مُمَزّعِ[2]

٩- (وإذا جاءَهُم أمرٌ من الأمنِ أو الخوفِ أَذَاعوا بِهِ ولو ردُّوهُ إلى الرَّسُولِ وإلى أولي الأمرِ منهم لعَلِمَهُ الذين يستَنبِطُونَهُ منهم ولولا فضلُ اللهِ عَليكُم ورحمتُهُ لاتَّبعتُمُ الشيطانَ إلا قليلاً (٨٣)).

فمن نزلت به نازلة، وألحت به مسألة، فعليه أن يساءل العلماء الربانيين، والجهابذة المفتين، الذين جمعوا بين علمي الدليل والواقع، وكانوا أوعية للفقه الواسع، ولم يقوا على العلم في الأسفار والكتب، بل أخرجوه للواقع الرحب.. وهم في الناس قليل، حتى قال الإمام الجليل، أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله: "**أما الكاملون في جميع الأدوات فيندر وجودهم، فيكون في الزمان البعيد منهم واحدا! ولقد سَبرتُ السَّلف كلَّهم فأردت أن أستخرجَ منهم من جمع بين العلم حتى صار من المجتهدين، وبين العمل حتى صار قدوة للعابدين، فلم أر أكثر من ثلاثة!**

(١) وراجع في ذلك ما كتبته منذ بضع سنين، بعنوان: "**الأقوال المهدية؛ إلى العمليات الاستشهادية**".

(٢) رواه البخاري من قول خبيب بن عَدي رضي الله عنه قبل أن يقتله المشركون في مكة.

أولهم: الحسنُ البصري.

وثانيهم: سفيان الثوري.

وثالثهم: أحمد بن حنبل.

وقد أفردتُ لأخبار كلِّ واحدٍ منهم كتاباً، وما أنكرُ على من ربَّعهم بسعيد بن المسيب، وإن كان في السلف ساداتٌ إلا أن أكثرهم غلب عليه فن، فنقص من الآخر؛ فمنهم من غلب عليه العلم، ومنهم من غلب عليه العمل".اهـ [صيد الخاطر ص٤٢].

فمن اجتنب أنصاف المتعلمين، والكتّاب المثقفين، الذين يصدون عن الركب، بجهلهم المركب، ووفق إلى أمثال هؤلاء العلماء الكبار، فقد وفق لفضل العزيز الغفار، قال الإمام الطبري رحمه الله: "..وقال آخرون معنى ذلك: ولولا فضل الله عليكم ورحمته **لاتبعتم الشيطان جميعاً** قالوا: وقوله: **(إلا قليلاً)** خرج مخرج الاستثناء في اللفظ وهو دليل على الجميع والإحاطة وأنه لولا فضل الله عليهم ورحمته لم ينج أحد من الضلالة فجعل قوله : (إلا قليلا) دليلا على الإحاطة.. قوله: (لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) إنما معناه: لاتبعتم **جميعكم** الشيطان".اهـ[1]

١٠- (فَبِمَا نَقضِهِم مِيثَاقَهُم وكُفرِهِم بآياتِ اللهِ وقتلِهِمُ الأنبياءَ بِغيرِ حَقٍ وقولِهِم قُلُوبُنَا غُلف بل طَبَعَ اللهُ عليها بكفرِهِم **فلا يُؤمِنونَ إلا قليلاً** (١٥٥)).

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: "والاستثناء في قوله: (إلا قليلاً) من عموم المفعول المطلق: أي لا يؤمنون إيماناً إلا إيماناً قليلاً.. **ويجوز أن يكون قلّة الإيمان كناية عن قلّة أصحابه مثل عبد الله بن سلام**".اهـ [التحرير والتنوير ٤/٣٠٣-٣٠٤].

فكن –أيها القارئ– من القلة المؤمنة، والفرقة المؤّمنة، واحذر من الكثرة الهالكة، والطرق الحالكة.

---

(١) وقيل: "(إلا قليلاً) هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا حدثوا أنفسهم بأمور من أمور الشيطان إلا طائفة منهم".اهـ وقيل غير ذلك.

فبفضل الله ورحمته آمن القليل، ولم يضل الجميع عن سواء السبيل، قال الإمام البغوي رحمه الله: "**(إلا قليلاً) عني بالقليل المؤمنين**".اهـ

***

سورة المائدة:

بين الله تعالى في كثير من آيات هذه السورة، في أوضح بيان وأظهر صورة؛ أن كثيراً من الناس لا يعلمون شرك الحاكمية، فيشركون بالله في الألوهية، وذلك بسبب جهلهم بأن الحكم بغير ما أنزل الله من نواقض الإسلام، والموبقات العظام..

ثم بين في بعض الآيات من نفس السورة؛ أن كثيراً من العامة والدهماء، لا يعلمون عظم شأن الولاء والبراء، ويجهلون أن موالاة الكفار ومناصرتهم على المسلمين كفر أكبر مخرج من الملة، وهو مرض العصر والعلة!

لذلك فقد قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "إذا فهمت هذا جيداً عرفت أن **كثيراً من الذين يدّعون الدين لا يعرفونها** –أي: لا إله إلا الله–".اهـ [مجموعة التوحيد ص١٩].

١١- (فَبِمَا نَقضِهِم ميثاقَهُم لَعَنَّاهُم وجَعَلنَا قُلُوبَهُم قاسيةً يُحَرفونَ الكَلِمَ عن مواضعِهِ ونَسُوا حَظاً مما ذُكروا به ولا تَزَالُ تَطَّلِعُ على خائِنَةٍ منهم **إلا قليلاً منهم** فاعفُ عنهم واصفح إنَّ اللهَ يُحِبُّ المحسنينَ (١٣)).[1]

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "(على خائنة).. مظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.. **(إلا قليلاً منهم) لم يخونوا**".اهـ

١٢- (قالَ ربِ إني لا أملكُ **إلا نفسي وأخي** فافرق بيننَا وبَينَ القومِ الفاسقينَ (٢٥)).

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وهذا خبر من الله جل وعز عن قيل قوم موسى حين قال له قومه ما قالوا من قولهم: (إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) أنه قال عند ذلك وغضب من قيلهم له داعيا: يا رب إني لا أملك إلا

(١) قال قتادة: "هذه الآية: (فاعفُ عنهم واصفح) **منسوخةٌ** بقوله: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر)..الآية".اهـ [تفسير القرآن العظيم ٢/٤٤].

نفسي وأخي يعني بذلك: لا أقدر على أحد أن أحمله على ما أحب وأريد من طاعتك وإتباع أمرك ونهيك **إلا على نفسي وعلى أخي**".اهـ

فعلى المسلم أن يواصل الجد في الطاعات والسعي، وأن لا يتوانى في أداء الواجب الشرعي، بسبب كثرة التاركين له! **بل ليقم به ولو وحده**، قال الله تعالى: (**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ** وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤)) [النساء].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "**يأمر تعالى عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يباشر القتال بنفسه ومن نكل عنه فلا عليه منه ولهذا قال: (لا تكلف إلا نفسك)**...

عن أبي إسحاق قال: سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقى المائة من العدو فيقاتل فيكون ممن قال الله فيه: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)؟ قال: قد قال الله تعالى لنبيه: (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين).

ورواه الإمام أحمد عن سليمان بن داود عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال: قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة؟ قال: لا، إن الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم وقال: (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) إنما ذلك في النفقة.."اهـ

ولقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "**أقاتلهم وحْدِي حتى تنفرد سالفتي**".اهـ [انظر: أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٧٨].

١٣- (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ **ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** (٣٢)).

صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، **فواحدة في الجنة**، وسبعون في النار. وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، **وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده لتفترقنّ أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار**) وفي رواية الحاكم والطبراني: (**تفترق**

هذه الأمة ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) قالوا: وما تلك الفرقة؟ قال: (من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

قال شيخنا عبد المنعم الشامي حفظه الله: "والشاهد من هذه الأحاديث – وغيرها من النصوص والآثار الدالة على هذا المعنى – أن الجماعة الناجية المنصورة التي يجب الانتماء إليها، وتكثير سوادها هي الجماعة التي تتمسك بالكتاب والسنة، وتكون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده فهماً والتزاماً وسلوكاً، **وما سواها من الجماعات التي تتنكب هذا الطريق مهما كثر عددها وانتشر صيتها وضرب اسمها الآفاق، لا يجوز الانتماء إليها، أو التكثير من سوادها بشيء، فالحق أحق وأولى بالإتباع وإن قل أنصاره، فالحق لا يُعرف بالكثرة الغالبة، وإنما يُعرف بالكيف المطابق للكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة**".اهـ [حكم الإسلام في الديمقراطية ص١٩٣].

١٤- (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩)).

فالحكم في الدنيا وفي الدين، يجب أن يكون لله رب العالمين، فلا يصح القضاء، ولا يكون الإفتاء، إلا بكتاب الله، وسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

روى ابن عبد البر عن درّاج أبي السمح قال: "يأتي على الناس زمان يُسَمِّن الرجل راحلته حتى يُقعِدَ شحماً، ثم يسير عليها في الأمصار حتى تصير نقضاً، **يلتمس من يفتيه بسُنةٍ قد عُمِلَ بها فلا يجد إلا من يفتيه بالظن**". اهـ

ولقد ذكر هذا الأثر صالح بن محمد الفلاّني المتوفى سنة ١٢١٨هـ في كتابه (إيقاظ همم أولي الأبصار) ثم قال: "**ولقد شاهدنا في زماننا هذا مما قاله أبو السمح فلقد طفت من أقصى المغرب ومن أقصى السودان إلى الحرمين الشريفين فلم ألق أحداً يُسأل عن نازلة فيرجع إلى كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين وآثار الصحابة والتابعين إلا ثلاثة رجال وكل واحد منهم مقموع محسود يبغضه جميع من في بلده من المتفقهين وغالب من فيه من العوام والمتسمين بسيم الصالحين، وموجب العداوة والحسد تمسكهم بالكتاب وسنة إمام المتقين صلى الله عليه وسلم ورفضهم كلام الطائفة العصبية والمقلدين**".اهـ [إيقاظ همم أولي الأبصار ٢٧-٢٩].

وقال الحافظ يحيى بن عبد الوهاب: "كنت مع عمي عبيد الله في طريق نيسابور، فلما بلغنا بئر مجنة، قال عمي: كنت هاهنا مرة، فعرض لي شيخٌ جمَّال، فقال: كنت قافلاً من خرسان مع أبي، فلما وصلنا إلى هاهنا إذا نحن بأربعين وِقراً من الأحمال، فظننا أنها منسوج الثياب، وإذا خيمة صغيرة فيها شيخ، فإذا هو والدك -أي: والد عبيد الله المذكور، وهو: أبو عبد الله محمد بن أبي يعقوب بن مندة العبدي الأصبهاني-، فسأله بعضنا عن تلك الأحمال، فقال: **هذا مَتاع قلَّ من يرغب فيه في هذا الزمان، هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم**".اهـ [سير أعلام النبلاء ١٧/٣٧]. قلت: فكيف به في زماننا؟! الذي رُغب فيه عن الكتاب والسنة المحمدية، ورغب في الدساتير والقوانين الإفرنجية؟!

١٥- (قل يا أهلَ الكتابِ هل تَنقِمونَ منا إلا أن آمنا باللهِ وما أُنزلَ إلينا وما أُنزلَ من قبلُ وأنَّ أكثرَكُم فاسِقونَ (٥٩)).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "وقوله: (وأن أكثركم فاسقون) معطوف على: (أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) **أي وآمنا بأن أكثركم فاسقون أي خارجون عن الطريق المستقيم**".اهـ فالحذر كل الحذر من أن تخرج عن الطريق المستقيم، بحجة كثرة من خرج في الحديث والقديم!

١٦- (وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٦٢)).

قال الإمام الذهبي رحمه الله في كتاب الكبائر: "**واعلم أن كثيراً من هذه الكبائر بل عامتها -إلا الأقل- يجهل خلق من الأمة تحريمه وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد**".اهـ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ليأتينّ على الناس زمانٌ لا يبقى منهم أحدٌ إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره**) [أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجة، وأحمد، والحاكم، وقال: صحيح إن صح سماع الحسن من أبي هريرة. قال الذهبي في تلخيصه: سماع الحسن من أبي هريرة بهذا صحيح].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "ثم نظرتُ في حال التُّجار،[1] فرأيتهم قد غلب عليهم الحرصُ، حتى لا يرون سوى وجوه الكسب كيف كانت، **وصار الربا في معاملاتهم فاشياً**، فلا يبالي أحدُهم من أين حصلت له الدنيا، وهم في باب الزكاة مفرطون، ولا يستوحشون مِن تركها **إلا من عصم الله**".اهـ [صيد الخاطر ص٤١].

ولم يكتف كثير من الناس اليوم بتعاطيهم للربا، بل قننوه والتزموا الامتناع عليه والإباء! قال الإمام ابن خُويزمنداد رحمه الله: "لو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالاً كانوا مرتدين، والحكم فيهم كالحكم في أهل الردة، وإن لم يكن ذلك منهم استحلالاً جاز للإمام محاربتهم؛ ألا ترى أن الله تعالى قد أذن في ذلك فقال: (فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [البقرة: ٢٧٩]".اهـ [انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي].

١٧- (..وليزيدَنَّ كثيراً منهم ما أُنزلَ إليكَ من ربكَ طغياناً وكفراً وألقينا بينهُمُ العداوةَ والبغضاءَ إلى يومِ القيامةِ كلما أوقدوا ناراً للحربِ أطفأها اللهُ ويسعونَ في الأرضِ فساداً واللهُ لا يُحِبُّ المفسدينَ (٦٤)).

جاء في "فتح القدير": "قوله: (وليزيدن كثيرا منهم) إلخ اللام هي لام القسم: أي ليزيدن **كثيراً** من اليهود والنصارى ما أنزل إليك من القرآن المشتمل على هذه الأحكام الحسنة (طغيانا وكفرا) أي طغيانا إلى طغيانهم وكفرا إلى كفرهم".اهـ

فالكثير من الناس تصلهم الحجج والبراهين، فيُصرون على إتباع ما تملي عليهم الشياطين! ويستمرون في الظلم والإجحاف، وغمط الحق وعدم الإنصاف، وكما قيل: "**الإنصاف حُلت الأشراف، والأشراف أقل الأصناف!**".

---

(١) قال الإمام الزركشي رحمه الله: "روي: أنه صلى الله عليه وسلم رأى تاجراً يَبخسُ الناسَ في البيع. فقال: **(التاجر فاجر)**. يعني ذلك الرجل، فرواه بعضهم على أنه للاستغراق.

ذكر هذا فخر الدين الرازي في بعض كتبه الأصولية، وجعله من أسباب الغلط في الرواية. ولا شك أنه من أسبابه، لكن هذا الحديث ليس من هذا الباب، **فإن في السنن: (التاجر فاجر إلا من برَّ وصدق)**، وهذا يدل على إرادة الاستغراق لوجود الاستثناء فيه".اهـ [الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص١١٣].

وقد رواه مُسدَّد وابن جرير عن علي موقوفاً بلفظ: (التاجر فاجر **إلا من أخذ الحق وأعطاه**). وقال البُوصيري: "رواه مسدد بسند صحيح".اهـ [انظر: كنز العمال ٤/١٣٦، والمطالب العالية ١/٤٠٩].

قال الإمام مالك رحمه الله في الإنصاف: "**لم أجد في الناس أقل منه**، فأردت المداومة عليه".اهـ [الديباج المذهب ١/٩٦]. هذا في زمانه رحمه الله فكيف بزماننا؟!

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**وكذلك كثيرٌ من العلماء في احتقارهم غيرَهم، والتكبُّر في نفوسهم**، فتعجب كيف يصلح هؤلاء لمجاورة الحق؟! وسكنى الجنة؟!".اهـ [صيد الخاطر ص٥٦]. نسأل الله التواضع للحق وللخلق.

١٨- (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ **وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ** (٦٦)).

فلو حُكمت ديار المسلمين، بحكم رب العالمين، لأكل الناس حتى شبعوا، ورُزقوا من الطيبات وانتفعوا، ولكن أكثر الناس عن الكتاب والسنة في معزل، ولا يعرفون الآيات والأحاديث إلا للهو والهزل!

قال الإمام يونس بن عبيد رحمه الله: "**ليس شيء أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها**".اهـ [كشف الغربة في وصف أهل الغربة ص٥]. قلت: **وأغرب ممن يعرفها من يحكم بها!**

١٩- (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ **وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** (٦٨)).

فمن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر مرتد، فإن تواطأ على ذلك وحشد الحشود وجنّد، فعند ذلك تزداد غربة الإسلام بين المسلمين وتشتد! قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "**أعظم ما تكون غربته -أي: غربة الدين- إذا ارتد الداخلون فيه عنه**، وقد قال تعالى: (مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ) **فهؤلاء يقيمونه إذا ارتد عنه أولئك**".اهـ [مجموع الفتاوى ١٨/٢٩٦].

٢٠- (وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ **ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ** وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١)).

خرج الطبراني وغيره بإسناد فيه نظر من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن لكل شيء إقبالاً وإدباراً، وإن من إقبال هذا الدين ما كنتم عليه من العمى والجهالة وما بعثني الله به، وإن من إقبال هذا الدين أن تفقه القبيلة بأسرها حتى لا يوجد فيها إلا الفاسق والفاسقان فهما مقهوران ذليلان، إن تكلما قُمِعَا وقُهِرَا واضطُهدا، **وإن من إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة بأسرها حتى لا يُرى فيها إلا الفقيه والفقيهان فهما مقهوران ذليلان، إن تكلما فأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر قُمعا واضطُهدا، فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعواناً ولا أنصاراً**).

ورواه الحارث بن أبي أسامة، وفيه: (..**من إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة كلها من عند آخرها، حتى لا يبقى فيها إلا الفقيه أو الفقيهان، فهما مقهوران مقموعان ذليلان، إن تكلما أو نطقا قمعا وقهرا واضطهدا، وقيل لهما: أتطعنان علينا؟!**..).

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "فوصف في هذا الحديث المؤمن العالم بالسنة الفقيه في الدين بأنه سيكون في آخر الزمان عند فساده **مقهوراً ذليلاً لا يجد أعواناً ولا أنصاراً**". اهـ [كشف الكربة في وصف أهل الغربة ص٦].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "الكافية الشافية":

لا توحشنك غربة بين الورى ... فالناس كالأموات في الجبّان

أوَما علمت بأن أهل السنة ال ... غرباء حقاً عند كل زمان

قل لي متى سلم الرسول وصحبه ... والتابعون لهم على الإحسان

من جاهل ومعاند ومنافق ... ومحارب بالبغي والطغيان

وتظن أنك وارث لهم وما ... ذقت الأذى في نصرة الرحمن

كلاّ ولا جاهدت حق جهاده ... في الله لا بيدٍ ولا بلسان

منتك والله المحال النفس فاس ... تحدث سوى ذا الرأي والحسبان

لو كنت وارثه لآذاك الألى ... ورثوا عداه بسائر الألوان

٢١- (قُل يا أهلَ الكِتَابِ لا تَغلُوا في دِينِكُم غَيرَ الحَقّ ولا تَتبِعُوا أهواءَ قومٍ قد ضَلُّوا من قَبلُ **وأَضَلُّوا كثيراً وضَلوا عن سواءِ السَّبيلِ** (٧٧)).

قال الإمام الطبري رحمه الله: "(وأضلوا كثيرا) يقول تعالى ذكره: **وأضل هؤلاء اليهود كثيرا من الناس فحادوا بهم عن طريق الحق**".اهـ

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: (ولا تتبعوا أهواء قوم) الأهواء جمع هوى وقد تقدم في البقرة وسمى الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار.

(قد ضلوا من قبل) قال مجاهد والحسن: يعني اليهود **(وأضلوا كثيرا) أي أضلوا كثيرا من الناس**، (وضلوا عن سواء السبيل) أي عن قصد طريق محمد صلى الله عليه وسلم، وتكرير ضلوا على معنى أنهم ضلوا من قبل وضلوا من بعد والمراد الأسلاف الذي سنوا الضلالة وعملوا بها من رؤساء اليهود والنصارى".اهـ

ومن الأهواء التي أضلوا بها الكثير من الناس اليوم: القوانين الوضعية الوضيعة، وضلوا بها عن سواء السبيل، فحسبنا الله ونعم الوكيل.[1]

٢٢- (تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠)).

قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله: "إذا أردت أن تعرف محل الإسلام من أهل الزمان، **فلا تنظر إلى ازدحامهم في أبواب المساجد، ولا في ضجيجهم بلبيك، ولكن انظر إلى مواطأتهم لأعداء الشريعة**، فاللجا اللجا إلى حصن الدين والاعتصام بحبل الله المتين، والانحياز إلى أوليائه المؤمنين، والحذر الحذر من أعدائه المخالفين، فأفضل القرب إلى الله تعالى، مقت من حاد الله ورسوله وجهاده باليد واللسان والجنان بقدر الإمكان".اهـ [الدرر السنية - جزء الجهاد ص٢٣٨].

ويدخل في هذا النهي دخولاً جزئياً لا كلياً، تولي الظلمة الذين ملئوا الأرض جوراً وعتياً، قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "إن **جمهور العلماء** شغلهم العلمُ عن الكسب، فاحتاجوا

(١) إن الذي جاء بالقوانين الوضعية إلى ديار المسلمين اليوم، كالذي جاء بالأصنام إلى ديار المسلمين بالأمس، حكمه حكمه في الدنيا والآخرة، وقد جاء في السنة الطاهرة؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبا بني كعب هؤلاء **يجر قصبه في النار**) [أخرجه البخاري ومسلم].

إلى ما لا بد منه، وقلَّ الصبر، **فدخلوا مداخل شانتهم وإن تأوّلوا فيها، إلا أن غيرها كان أحسن لهم.**

فالزهري مع عبد الملك، وأبو عبيد مع طاهر بن الحسين، وابن أبي الدنيا مؤدِّبُ المعتضِد، وابن قتيبة صدّر كتابه بمدح الوزير.

وما زال خلفٌ من العلماء والزهاد يعيشون في ظلِّ جماعة من المعروفين بالظلم، وهؤلاء وإن كانوا سلكوا طريقاً من التأويل، فإنهم فقدوا من قلوبهم، وكمال دينهم أكثرَ ممّا نالوا من الدنيا".اهـ [صيد الخاطر ص١١١].

٢٣- (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)).

فكثير ممن يدعي الإيمان، في هذه الأزمان، قد والى أعداء الدين من الأمريكان، قال شيخنا الحافظ سليمان بن ناصر العلوان فك الله أسره في شرح الناقض الثامن من نواقض الإسلام -وهو مظاهرة المشركين ومناصرتهم على المسلمين-، قال: "ومظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين **فتنة عظيمة قد عمت فأعمت، ورزية رمت فأصمت، وفتنة دعت القلوب فأجابها كل قلب مفتون بحب المشركين، ولا سيما في هذا الزمن، الذي كثر فيه الجهل، وقل فيه العلم، وتوفرت فيه أسباب الفتن، وغلب الهوى واستحكم، وانطمست أعلام السنن والآثار**".اهـ [التبيان شرح نواقض الإسلام ص٤٩].

٢٤- (قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)).

قال شيخ المفسرين الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد: لا يعتدل الرديء والجيد والصالح والطالح والمطيع والعاصي (ولو أعجبك كثرة الخبيث) يقول: لا يعتدل العاصي والمطيع لله عند الله **ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلوا دون أهل معصيته وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا**".اهـ

فلا تكترث أخي المسلم، بالخبيث فهو كالعدم، وإن كثر وعم! قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**رأيت أكثرَ الخلق في وجودهم كالمعدومين**؛ فمنهم لا يعرف الخالق، ومنهم من

يثبته على مقتضى حسّه، ومنهم من لا يفهم المقصود من التكليف.."اهـ [صيد الخاطر ص٥٥-٥٦].

٢٥- (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ (١٠٣)).

عن سعيد بن المسيب رحمه الله قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء .. والوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه الحامي. [رواه البخاري ومسلم].

وقد كان المشركون بالأمس يتقربون إلى الطواغيت بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وأصبحوا اليوم يتقربون إلى الطواغيت بسجن وتعذيب الصادعين من أهل الإسلام!

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "إذا أقروا أن هذا دين الله ورسوله، كيف لا يكفر من أنكره، وقتل من أمر به وحبسهم، كيف لا يُكفر من أمر بحبسهم؟!".اهـ [الدرر السنية ١٠/٨].

***

سورة الأنعام:

٢٦- (وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٣٧)).

فهذا بيان أن القليل هم الذين يعلمون آيات الله العليم، وقليل من هؤلاء القليل هم الذين يعلمون ما دق من أحكام اللطيف الحكيم..

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، **لا يعلمهُنَّ كثيرٌ من الناس** فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام..) [متفق عليه]

قال الإمام النووي رحمه الله: "وأما المشتبهات فمعناه: أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، **فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها**".اهـ [شرح صحيح مسلم ١١/٣٨].

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**رأيتُ كثيراً من الناس** يتحرَّزون من رَشاش نجاسة، ولا يتحاشون من غيبة! ويكثرون من الصدقة، ولا يبالون بمعاملات الربا! ويتهجَّدون بالليل ويؤخرون الفريضة عن الوقت! في أشياء يطول عددها **من حفظ فروعٍ، وتضييع أصول**.

فبحثتُ عن سبب ذلك، فوجدتُه من شيئين: أحدهما: **العادة**. والثاني: **غلبةُ الهوى في تحصيل المطلوب**، فإنّه قد يغلب فلا يتركُ سمْعاً ولا بصراً".اهـ [صيد الخاطر ص١١٢].

ونظير ما قاله الإمام بل أشد، وأعظم ما يكون من ضلال عن السبيل وصد، ما يقع فيه كثير من المنتسبين للإسلام، في هذه العصور والأعوام؛ **كمحافظتهم على الطهارة الصغرى، وتفريطهم في الطهارة الكبرى!**[1] **وإنكارهم للسفاهة الصغرى، ووقوعهم في السفاهة الكبرى!**[2] **وتمسكهم ببعض العرى، ونقضهم لأوثق عرى الإيمان والعروة الوثقى!**[3]

---

(١) الطهارة الصغرى: التطهر من الحدث الأكبر والأصغر، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: ٢٢٢].

وأما الطهارة الكبرى: فالتوحيد، فمن أشرك بالله تعالى فهو نجس وإن اغتسل بماء البحر! قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) [التوبة: ٢٨].

(٢) السفاهة الصغرى: ضعف التصرف في المال ونحوه، قال الله تعالى: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥)) [النساء].

وأما السفاهة الكبرى: فالشرك وموالاة أعداء الله تعالى، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) [البقرة: ١٣٠].

(٣) أوثق عرى الإيمان: الولاء والبراء، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**) [أخرجه الطبراني في "الجامع الكبير"، وابن أبي شيبة في "الإيمان"، وقال الشيخ الألباني: "حديث حسن". انظر: صحيح الجامع الصغير ٢/٣٤٣].

=

٢٧- (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)).

فعلى الرغم من قيام الحجة، وبيان المحجة، إلا أن كثيراً من الناس يقعون في الدواهي العظام، ويرتكبون نواقض الإسلام، قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغفر له بواسع المغفرة، بعد أن عدد نواقض الإسلام العشرة: "وكلها من أعظم ما يكون خطراً، **ومن أكثر ما يكون وقوعاً**. فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه".اهـ [متن نواقض الإسلام ص١١].

وقال شيخنا عمر بن مسعود حفظه الله في خاتمة منظومته "تعريف الكفر الأكبر وأنواعه":

كُلُّ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ النَّائِبَاتِ ... فِي حَيَاةِ الإِنْسَانِ مَاضٍ وَآتِ

أَكْثَرُ الشَّرِّ مَا يَكُونُ وُقُوعاً ... فَاحْذَرَنْ أنْ تُرَى لَهُنَّ تَبِيعاً

٢٨- (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (١١٦)).

فهذا بيان من الله صريح، بأن منهج الاحتجاج بقول الأكثرية غير صحيح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الرَّجُلُ مِنْ أَنْ تَكْرَهَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ تَرُدَّهُ لِأَجْلِ هَوَاك أَوْ انْتِصَاراً لِمَذْهَبِك أَوْ لِشَيْخِك أَوْ لِأَجْلِ اشْتِغَالِك بِالشَّهَوَاتِ أَوْ بِالدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُوجِبْ عَلَى أَحَدٍ طَاعَةَ أَحَدٍ **إلَّا طَاعَةَ رَسُولِهِ وَالْأَخْذَ بِمَا جَاءَ بِهِ بِحَيْثُ لَوْ خَالَفَ الْعَبْدُ جَمِيعَ الْخَلْقِ وَاتَّبَعَ الرَّسُولَ مَا سَأَلَهُ اللَّهُ عَنْ**

=

والعروة الوثقى: التوحيد المتضمن لشقي النفي والإثبات؛ الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال الله تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٥٦]. قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "فالكفر بالطاغوت، الذي صرح الله بأنه أمرهم به في هذه الآية -أي الآية ٦٠ من سورة النساء-، **شرط في الإيمان** كما بينه تعالى في قوله: **(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ** فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)، فيفهم منه **أن من لم يكفر بالطاغوت لم يتمسك بالعروة الوثقى، ومن لم يستمسك بها فهو مترد مع الهالكين**". أهـ [أضواء البيان، تفسير آية رقم ١٠ من سورة الشورى].

مُخَالَفَةِ أَحَدٍ؛ فَإِنَّ مَنْ يُطِيعُ أَوْ يُطَاعُ إنَّمَا يُطَاعُ تَبَعاً لِلرَّسُولِ وَإِلَّا لَوْ أَمَرَ بِخِلَافِ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ مَا أُطِيعَ. فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَاسْمَعْ وَأَطِعْ وَاتَّبِعْ وَلَا تَبْتَدِعْ. تَكُنْ أَبْتَرَ مَرْدُوداً عَلَيْك عَمَلُك بَلْ لَا خَيْرَ فِي عَمَلٍ أَبْتَرَ مِنْ الإتباع وَلَا خَيْرَ فِي عَامِلِهِ".اهـ [مجموع الفتاوى ١٦/٥٢٩].

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "ودلت هذه الآية، **على أنه لا يستدل على الحق، بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عددا، الأعظمون –عند الله– قدرا وأجرا**، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل، بالطرق الموصلة إليه".اهـ

٢٩– (ومَا لَكُم ألا تَأكُلُوا مما ذُكِرَ اسمُ اللهِ عَليهِ وَقَد فَصَّلَ لَكُم ما حَرَّمَ عَلَيكُم إلا ما اضطُرِرتُم إليه **وإن كثيراً لَيُضِلُّونَ بأهوائِهم بغيرِ علمٍ** إن ربكَ هو أعلمُ بالمعتدِينَ (١١٩)).

قال شيخ المفسرين رحمه الله: "واختلفت القراءة في قراءة قوله: (ليضلون) فقرأته عامة أهل الكوفة: (لَيُضِلُّون) بمعنى: أنهم يضلون غيرهم. وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين: (لَيَضِلُّون) بمعنى: أنهم هم الذين يضلون عن الحق فيجورون عنه.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: (وإن كثيرا لَيُضلون بأهوائهم) بمعنى: أنهم يضلون غيرهم **وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن إضلالهم من تبعهم، ونهاه عن طاعتهم وإتباعهم إلى ما يدعون إليه فقال: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) ثم أخبر أصحابه عنهم بمثل الذي أخبره عنهم ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذي نهاه عنه فقال لهم: (وإن كثيرا) منهم ليضلونكم (بأهوائهم بغير علم) نظير الذي قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)**".اهـ [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤/٣٣٢٢].

٣٠– (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الإِنسِ** وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨)).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: "(قد استكثرتم من الإنس) يعني: **أضللتم منهم كثيرا**".اهـ

وعن قتادة: "(قد استكثرتم من الإنس) قال: **قد أضللتم كثيرا من الإنس**".اهـ

وعن مجاهد في قول الله: "(قد استكثرتم من الإنس) قال: **كثر من أغويتم**".اهـ

وعن الحسن: "(قد استكثرتم من الإنس) يقول: **أضللتم كثيرا من الإنس**".اهـ

ولقد قال الله تعالى عن الجن: (وأنا منا الصالحونَ ومِنا دُونَ ذلك كُنا طرائقَ قِدداً) [الجن: ١١]. عن السّدي رحمه الله قال: "الجن أهواء مثلكم: شيعة، ورافضة، **ومرجئة**، وقدرية".اهـ [أخرجه أبو الشيخ في "العظمة" ٥/١٦٨٨، وأحمد في "الناسخ والمنسوخ"، وأورده السيوطي في "الدر المنثور" ٦/٢٧٤، وانظر "الفتاوى الحديثية" لابن حجر الهيتمي ص٧٠].

فإذا عرفت –أخي القارئ– أن في الجن مرجئة، فلا تعجب من كثرة مرجئة العصر! إذ أن أولئك شيوخ هؤلاء، على أن الشيوخ ليسوا بثقاة أسوياء!

٣١- (وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاء اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧)).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) المعنى: فكما زين لهؤلاء أن جعلوا لله نصيبا ولأصنامهم نصيبا **كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم**... قال الفراء و الزجاج: شركاؤهم ها هنا هم الذين كان يخدمون الأوثان. وقيل: هم الغواة من الناس. وقيل: هم الشياطين.."اهـ

وكما أن الشياطين، استطاعوا أن يزينوا للأكثرين، قتل أولادهم وهم فلذات الأكباد، فأسهل عليهم أن يزينوا لهم طريق الغي والفساد!

***

سورة الأعراف:

٣٢- (ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)).

قال العماد ابن كثير رحمه الله: "وقول إبليس هذا إنما هو ظن منه وتوهم **وقد وافق في هذا الواقع** كما قال تعالى : (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه **فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين** *

وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ)".اهـ

فإبليس يسعى لإغواء أكثر النفوس، كما نشاهده في واقعنا الملموس! عن سبرة بن الفاكه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الشيطان **قعد لابن آدم بطريق الإسلام** فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك؟! فعصاه فأسلم فغفر له. **فقعد له بطريق الهجرة** فقال له: تهاجر وتذر دارك وأرضك وسماءك؟! فعصاه فهاجر **فقعد بطريق الجهاد** فقال: تجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال؟! فعصاه فجاهد). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة) [أخرجه النسائي، وابن حبان، والبيهقي، وحسنه الحافظ، وصححه الألباني].

فلا يتجاوز هذه العقبات الشيطانية، إلا القليل من أصحاب الأنفس الإيمانية، ويدل على ذلك، ما روي في قلة شهداء المعارك؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تعدون الشهيد فيكم؟) قالوا: **يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد**. قال: (**إن شهداء أمتي إذا لقليل**) قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: (من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد) [أخرجه مسلم].

٣٣- (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢)).

قال العماد ابن كثير رحمه الله: "**أي ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال والعهد**.."اهـ

وهكذا فإن أهل الضلال حشد في إثر حشد، أما أهل الهداية فيُعدون على أصابع اليد!

٣٤- (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٣١)).

إن التاريخ يُعيد نفسه، واليوم يُشبه أمسه: فإن تصبهم مصيبة -كهجوم الأعداء علينا- يطيروا بالمجاهدين وقادتهم (أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**).

ولقد سمعنا الكثير من المرجفين يجعل أهل الجهاد (شماعة)، يُعلق عليها كل ما يصيب الأمة من نكبات ومجاعة! ولربما أخرجهم من دائرة أهل السنة والجماعة!

ويزعم أنهم هم السبب في احتلال الأعداء لأراضي المسلمين، وسفكهم لدماء الآلاف والملايين، بينما نجد هؤلاء المرجفين يغضون أبصارهم عن المباشر في الاحتلال! والمعين له بالنفس والمال!

عن عبد الله بن عمرو بن العاصي –بالياء على الصحيح– أنه قال لأبيه: "يا أبت، قتلتم هذا الرجل –أي: عمار بن ياسر– في يومكم هذا، وقد قال فيه رسول الله ما قال؟ قال عمرو: وما قال؟

قال: ألم تكن معنا ونحن نبني المسجد، والناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة، وعمار ينقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين، فغشي عليه، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: (ويحك ابن سمية. الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة، وأنت تنقل حجرين حجرين ولبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر، **وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية)**[1].

ولم يكد عمرو يسمع هذا من ولده حتى دفع صدر فرسه، ثم جذب معاوية إليه فقال: يا معاوية، أما تسمع ما يقول عبد الله؟ قال: وما يقول؟ فأخبره الخبر.

فقال معاوية: إنك شيخ أخرق، ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك! **أونحن قتلنا عماراً؟! إنما قتل عماراً من جاء به!**

فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: **إنما قتل عماراً من جاء به**".اهـ [انظر: تاريخ الطبري ٥/٤١].

(١) قال الإمام البخاري رحمه الله: "حدثنا مسدد قال: حدثنا عبد العزيز بن مختار قال: حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه ويقول: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار). قال يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن".اهـ

فمعاوية رضي الله عنه جعل من تسبب في قتل عمار هو القاتل له، لا المباشر في قتله، وهذا خطأ منه رضي الله عنه في تحليل الوقائع، سار عليه الكثير اليوم في الحكم على الواقع!

قال الشيخ العلامة سليمان بن سحمان رحمه الله: "**لما عاد الإسلام غريباً كما بدأ، صار الجاهلون به، يعتقدون ما هو سبب الرحمة سبب العذاب، وما هو سبب الإلفة والجماعة سبب الفرقة والاختلاف، وما يحقن الدماء سبباً لسفكها**، كالذين قال الله فيهم: (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) [الأعراف: ١٣١].

وكذلك الذين قالوا لأتباع الرسل: (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) [يس ١٨-١٩].

فمن اعتقد: أن تحكيم شريعة الإسلام يفضي إلى القتال والمخالفة، وأنه لا يحصل الاجتماع والإلفة، إلا على حاكم الطاغوت، فهو كافر عدو لله ولجميع الرسل، فإن هذا حقيقة ما عليه كفار قريش، الذين يعتقدون أن الصواب ما عليه آباؤهم، دون ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم".اهـ [الدرر السنية ٥٠٩/١٠-٥١٠].

٣٥- (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)).

قال الإمام ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) عن ما شاهده في زمانه، وما لاحظه على كثير من الرجال أقرانه[١]: "**رأيتُ كثيراً من الناس في وجودهم كالعدم**؛ لا يتصفَّحون أدلة الوحدانية، ولا ينظرون في أوامر الله تعالى ونواهيه، **بل يجرون على عاداتهم كالبهائم**، فإن وافق الشرعُ مرادَهم، وإلا فمُعَوَّلُهم على أغراضِهم..".اهـ [صيد الخاطر ص١٥].

هذا ولما تشتد غربة الإسلام، ويُذل المؤمن من قِبل اللئام! قال ابن مسعود رضي الله عنه: "**يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمة**". اهـ

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "**وإنما ذل المؤمن آخر الزمان لغربته بين أهل الفساد من أهل الشبهات والشهوات، فكلهم يكرهه ويؤذيه لمخالفة طريقته لطريقتهم**

(١) أقرانه: أي في السن وليس في الفضل والعلم.

ومقصوده لمقصودهم ومباينته لما هم عليه".اهـ [كشف الكربة في وصف أهل الغربة ص٧].

ولقد كثرت الشبهات والشهوات في تاريخنا المعاصر، ولم يسلم منها إلا الحذاق من أهل البصائر، نسأل الله السلامة، من طرق الخزي والندامة..

٣٦- (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** (١٨٧)).

وحري بمن لا يعلم متى الساعة، أن يعمل ويستعد لها كل ساعة، ولا يهتم بمخالفة الأكثر والأغلب، ولا يسمع لمن عابه أو ثلب..

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: (**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**). وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك. [أخرجه البخاري].

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "**وفي الحقيقة فالمؤمن في الدنيا غريب لأن أباه لما كان في دار البقاء ثم خرج منها فهمه الرجوع إلى مسكنه الأول، فهو أبداً يحن إلى وطنه الذي أُخرج منه** كما يقال: "حب الوطن من الإيمان"[1] وكما قيل:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

ولبعض شيوخنا في هذا المعنى:

---

(١) قلت: يظن الكثير من الناس اليوم أن هذه المقولة حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو حديث موضوع، "قال الصغاني: موضوع. وقال في المقاصد لم أقف عليه".اهـ [كشف الخفاء ٢/٨٧]. وقال الشيخ الألباني: "موضوع. كما قال الصَّغاني وغيره. **ومعناه غير مستقيم**، إذ إن حب الوطن كحب النفس والمال ونحوه، كل ذلك غريزي في الإنسان، لا يُمدح بحبه، ولا هو من لوازم الإيمان، ألا ترى أن الناس كلهم مشتركون في هذا الحب، لا فرق في ذلك بين مؤمنهم وكافرهم؟!".اهـ [السلسلة الضعيفة ١/١١٠].

فحــي علــى جنــات عــدن فأنهــا | منازلــــك الأولى وفيهــــا المخــــيم
ولكننــا ســبي العــدو فهــل تــرى | نعــــود إلى أوطاننـــا ونســـلم
وقــد زعمــوا أن الغريــب إذا نأى | وشــطت بــه أوطانــه فهــو مغــرم
فــأي اغــتراب فــوق غربتنــا الــتي | لهــا أضــحت الأعــداء فينــا تحكــم"[1]

***

سورة الأنفال:

٣٧- (إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)).

فمهما قل عدد أهل الحق وكثر عدد أهل الباطل وزاد، فإن أهل الحق منتصرون عليهم في كل ناد، بالحجة والبيان، وبالسيف والسنان، لأن الله معهم في كل وقتٍ وآن.. قال الإمام ابن الجوزي: "قوله تعالى: (ولن تغني عنكم فئتكم شيئا) **أي جماعتكم وإن كثرت وأن الله مع المؤمنين بالعون والنصر**..".اهـ

٣٨- (وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)).

أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ،**[2] **فطوبى للغرباء**)[3].[1]

(١) كشف الكربة في وصف أهل الغربة ص١١.

(٢) وفي رواية عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إن الإيمان بدأ غريباً**..) الحديث؛ أخرجه أحمد، والبزار، وأبو يعلى، وقال في مجمع الزوائد ٧/٢٧٧: "ورجال أحمد، وأبي يعلى: رجال الصحيح".اهـ

(٣) تتبع الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله طرق وروايات هذا الحديث في رسالته القيمة: "كشف الكربة في وصف أهل الغربة"، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

=

قال الإمام النووي رحمه الله: "قال القاضي: وظاهر الحديث العموم، **وأن الإسلام بدأ في آحاد الناس، وقلة ثم انتشر، وظهر ثم سيلحقه النقص، والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد، وقلة –أيضاً– كما بدأ**".اهـ [شرح صحيح مسلم ٢٣٣/٢].

وقال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "قال عمرو بن عنبسة: لما أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قلت: ما أنت؟ قال: (نبي) قلت: وما نبي؟ قال: (أرسلني الله) قلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: (بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئاً) قلت: **من معك على هذا؟ قال: (حر وعبد) ومعه يومئذ أبو بكر وبلال**.[2] **فهذا صيغة بدوّ الإسلام**، وعداوة الخاص والعام له، وكونه في غاية الغربة؛ ثم قد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ) **فمن تأمل هذا وفهمه، زالت عنه شبهات شياطين الإنس**..".اهـ [الدرر السنية ٦/١٠].

وفي بيعة العقبة الثانية، قال الإمام ابن إسحاق: "لما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن عبادة بن نضلة: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: **إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس**، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله! إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، **وإن كنتم**

=

١. هم النزاع من القبائل (رواية أحمد وابن ماجة من حديث ابن مسعود)، أي أنهم قلة قليلة جداً كما كان المسلمون في العهد المكي. ٢. يصلحون إذا فسد الناس (رواية الآجري).

٣. يفرون بدينهم من الفتن.

٤. يصلحون ما أفسد الناس من سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – (رواية الترمذي من حديث كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده).

٥. **قوم قليل، في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم** (رواية أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو).

٦. فرارون بدينهم، يبعثهم الله مع عيسى – عليه السلام–.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "**وفي هذا إشارة إلى قلة عددهم وقلة المستجيبين لهم والقابلين منهم وكثرة المخالفين لهم والعاصين لهم**".اهـ [كشف الكربة ص٦].

(١) بل وجدت هذا الحديث حتى عند الشيعة الإثني عشرية، انظر على سبيل المثال: "عيون أخبار الرضا" ٢١٨/١، وانظر: "إلزام الناصب" ١٣١/٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال، وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله! خير الدنيا والآخرة. قالوا: **فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله! إن نحن وفينا بذلك؟ قال: الجنة. قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه**".اهـ [سيرة ابن هشام ١/٤٤٦].

وفي رواية جابر قال: "فقمنا نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة –وهو أصغر السبعين– فقال: رويداً يا أهل يثرب! إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، **وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف**، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله.. قالوا: يا سعد! أمط عنا يدك، فوالله! لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها". [رواه أحمد في مسنده ٣/٣٢٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٩].

أنشد عبد الله بن حميد –أبو بكر المؤدب– رحمه الله:

بدا الإسلام حين بدا غريباً	وكيف بدا يعود على الدلائل
فطوبى فيه للغرباء طوبى	لجميع الآخرين وللأوائل
كما قال الرسول فقيل من هم	فقال: النازعون من القبائل[1]

قال شيخنا عاصم الحافي حفظه الله: "ذلك أن الأنصار قبل الفتح غرباء قليلون (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ) أما بعد الفتح فإن الأنصار يقدمون ويهجمون ويكثرون (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً) .

واليوم وبعد أن زالت دولة الإسلام ودالت دولة الردة والكفر والإشراك، ومنعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مُدْيُها ودينارها ومنعت مصرُ إرْدَبَّها ودينارها وعدنا من حيث بدأنا كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه مسلم في كتاب الفتن.

وامتنعت سائر الدول عن شرائع الإسلام وعاد الإسلام غريبا كما بدأ، **نستشعر هذه الآيات (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ..) ونُذكّر بها المسلمين دوما ..**

---

(١) كتاب الغرباء للإمام الآجري ص١٩-٢٠.

أيها المسلمون تدبّروا حال أنصار الدين قبل الفتح كيف كانوا، وكونوا كما كانوا..".اهـ [وقفات مع ثمرات الجهاد ص١١٥].

٣٩- (وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٣٤)).

هذا بيان من الله الجليل، أن تعداد الأولياء الأتقياء قليل، وكذا من يعلم طريقهم الواضح، لذلك جاءت الوصاية بهم من السلف الصالح؛ فكان الحسن رحمه الله يقول لأصحابه: "يا أهل السنة ترفقوا -رحمكم الله- **فإنكم من أقل الناس**". اهـ.

وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: "استوصوا بأهل السنة؛ **فإنهم غرباء**".اهـ(١)

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "**ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة: طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات**".اهـ [كشف الكربة في وصف أهل الغربة ص٥].

فمن اجتنب الشبهات ووقع في الشهوات، أو أقلع عن الشهوات وسقط في الشبهات، فليس بسني، وإن جعجع بالانتساب والتمني!

***

سورة التوبة:

٤٠- (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨)).

ومع أن هذه الكثرة من أهل الفسق والمذمة، لا ترقب في أهل الحق إلاً ولا ذمة، إلا أن أهل الحق لا يخشونهم ولا يخافونهم، بل يصدعون جهاراً نهاراً بما يخالفهم! قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

---

(١) وفي سير أعلام النبلاء ٢٧٣/٧ بلفظ: "استوصوا بأهل السنة خيراً؛ **فإنهم غرباء**".اهـ.

واصــدع بمــا قــال الرســول ولا تخــف	**مــن قلــة الأنصــار والأعــوانِ**
فـــالله ناصـــر دينـــه وكتابـــه	والله ناصـــر عبـــده بأمـــانِ

٤١- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)).

إذا فهمت هذه الآية على ضوء ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لتتبعن سنن الذين من قبلكم** شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله آليهود والنصارى؟ قال فمن ؟!).. لم يشكل عليك بعد ذلك ما رواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**أكثر منافقي أمتي قراؤها**).

ولقد راسلت شيخي العلامة عمر بن مسعود برسالة قصيرة، اسأله فيها عن حكم هذه الرواية المشتهرة، جاء فيها:

"الحمــــــد للعظــــيمِ ذي الجـــــلالِ	مصـــــرف الأمــــور بالكمـــــالِ
ممـــــتحن الـــــولي بالـــــبلايا	وهـــو المعـــين لـــه في الــــرزايا
ثم الصــــــلاة والســـــلام حــــقُ	علــى الـــذي قـــدِ اصـــطفاه الحـــقُ
وبعـــــد أهـــــدي فـــائق الســـــلام	لشـــيخي الجليــــلِ ذي المقـــــام
شــيخي – وقــاكَ الله مــن شــر العــدا – :	"مــا صــحة الــذي لطــه أســندا[1]
(أكثـــر مـــن يُعـــرف بالنفـــاقِ	**بأمـــتي قراؤهــــا)** الفســـاقِ؟
روى الحـــديث غـــير مـــا مُصَـــنِفْ	كـــابن أبي شـــيبة في المصـــنَّفْ[2]

(١) في المراد بـ "طه" ثلاثة أقوال. [انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٩٩/٥]. وقيل: أكثر من ذلك. [انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٠/٣].

(٢) قال الإمام أبو بكر ابن أبي شيبة في مصنفه تحت رقم ٣٤٣٣٥: حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني عبد الرحمن بن شريح قال حدثني شرحبيل بن يزيد المعافري قال سمعت محمد بن هدية الصدفي يقول سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**أكثر منافقي أمتي قراؤها**).

ومـــــا هـــــو المقصــــــود بالقـــــراءِ / أأهــــــل الحفــــــظِ أم العُلمـــــاءِ؟
فحبـــذا لـــو أشـــرت مـــن هـــم ومـــن / مـــن وصـــفوا بـــذا في غـــير مـــا زمـــن؟"
ثم الختــــــــــام بالســــــــــلام أولى / مـــن البـــدا بـــه كـــذاك يُـــروى "[1]

فأجابني شيخي بخط ألمعي، ينضح بالفوائد والفرائد لمن يعي، جاء فيه:

"أَزْكَـــــى الْعُلـــــومِ فِي الإِسْـــــلاَمِ / عِلْـــــمٌ أَتَـــــى بِـــــهِ إِمَـــــامِي
خَيْـــرُ الْـــوَرَى مُحَمَّـــد ذَاكَ النَّـــبِي / وَحَسْـــبُهُ لنَـــا مِـــنَ الْمُـــؤَدِّبِ
عَلَيْـــهِ مِـــنْ رَبِّ الْـــوَرَى صَـــلاَةُ / كَـــذَا سَـــلاَمٌ تَخْلُـــصُ النِّيَّـــاتُ
وَبَعْـــدُ يَا أُسْـــتَاذُ تُزْكِـــي فَـــاعْلَمِ / أَنَّ الْحَـــدِيثَ وَاضِـــحٌ لِلْفِهَـــمِ
وَهْـــوَ صَـــحِيحٌ بِشُـــرُوطِ الـــذَّهَبِي / بِجَنْـــبِ أَلْبَـــانِي كَـــذَا شُـــعَيْبِ
حَـــتَّى وإِنْ وَرَدَ بِالْخُصُـــوصِ / فَـــذَاكَ شَـــامِلٌ بِغَـــيْرِ نقْـــصِ
فَقَـــدْ أَتَـــى مَعْنَـــاهُ فِي مَوَاضِـــعِ / عِشْـــرِينَ جَـــاءَتْ فِي الصـــحيح الْجَـــامِعِ
قَـــدْ خَـــاضَ فِي مَعْنَـــاهُ غَيْـــرُ وَاحِـــدٍ / مِـــنَ الضِّـــخَامِ سَـــلَفِ الأَمَاجِـــدِ
فَمِنْهُمُـــو مَـــنْ فَهِـــم الْقُـــراءَ / مَـــنْ أَبْطَنُـــوا النِّفَـــاقَ والـــرِّيَّاءَ
وَعَـــدَّهُمْ بَعـــضٌ مِـــن الْمُعَطِّلَـــهْ / وَمُقْنِعِـــي الـــنَّفْسِ بِأَدْنَى الْمَنْزِلَـــهْ
أَوْ: غَـــيْرِ ذَاكَ (تُـــرْكِ) مِـــنْ أَقْـــوَالِ / كَاشِـــفَةٍ لِلْـــوَهْمِ وَالْخَيَـــالِ
وَمُجْمَـــلُ الْقَـــوْلِ بِهَـــذَا الْبَـــابِ / تَحَيَّـــرَتْ بِشَـــأْنِهِ الأَلْبَـــابِ
فَكُـــنْ لِزَامـــاً بِالْيَقِـــينِ الصَّـــادِقِ / فِي حُكْـــمِ-فَهْـــمِ-سَـــيِّدِ الْخَلاَئِـــقِ
حدِيثُـــهُ الـــدرُّ ومَـــا لَـــهُ شَـــبَهْ / وَمَـــا سِـــوَاهُ فِي الْـــوَرى جُـــلُّ شُـــبَهْ"[2]

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليُسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة) [أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد، وابن حبان، وغيرهم].

(٢) انظر كتاب: "كيف تصبح عالماً ومحدثاً في زمن النت" ص١٥٣-١٥٤.

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**ثم تأملتُ العلماء فرأيت أكثرَهم يتلاعبُ به الهوى، وستخدمُه**، فهو يؤثر ما يصدُّه العلم عنه، ويُقبِل على ما ينهاه، ولا يكاد يجد ذوق معاملة الله سبحانه".اهـ [صيد الخاطر ص٤١].

وقال شيخنا عاصم الحافي حفظه الله: "وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائفة القائمة بأمر الله إلى قيام الساعة بأنهم: "**لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم**"..

فإياك أن تتضرر بالمخالفين أو بخذلانهم للحق **ولو كانوا الأكثرين**.. وتذكر بأن أول من تسعّر بهم النار ثلاثة نفر، منهم علماء لم ينتفعوا بعلمهم لتضييعهم شرط الإخلاص. **فلا تغتر إذن بكثرة العمائم المنحرفة عن هذا الطريق.. أعني علماء الحكومات الذين باعوا دينهم للسلطان بثمن بخس دراهم معدودات، فبايعوه وناصروه وآزروه، ولبّسوا الحق بالباطل وأفسدوا على الناس دينهم.. فما العبرة بمثل هؤلاء**.. وإنما العبرة بالعلماء العاملين المتبرئين من أهل الكفر والطغيان، فهؤلاء هم ورثة الأنبياء.. **فالزم طريقهم وإن قلوا.. ولا تغتر بالغثاء.. فليس العجب ممن هلك كيف هلك.. وإنما العجب ممن نجا كيف نجا!!**".اهـ [إمتاع النظر ص١٤٣].

٤٢- ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩)﴾.

فلم تشفع لهم كثرة أموالهم وأولادهم عند العزيز البر، ولم تُغن عنهم شيئاً يُذكر، فكيف يظن الأغرار، أن حجة أكثرية أهل البوار، ستشفع لهم عند الواحد القهار؟!

ولقد جاء في السنة المحمدية، وصف أغلب المنتسبين للإسلام في آخر الزمان بالغثائية! فعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها) قال: قلنا: **يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟** قال: (**أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل** ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن) قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: (**حب الحياة وكراهية الموت**)، وفي رواية: (**وكراهية القتال**) [أخرجه أحمد].

فما أكثر من يحب الحياة –اليوم- ويكره القتال! ويقنع بعيش الحفر ويهاب صعود الجبال! فلا تكونن –أيها القارئ- مع غثاء السيل، فتنجرف وتنحرف عن السبيل.

ومــن يتهيــب صــعود الجبــال　　يعــش أبــد الــدهر بــين الحفــر!

***

سورة يونس:

٤٣- (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)).

إن كل قول ليس عليه أدنى دليل أو برهان، من السنة النبوية أو القرآن، فهو ظن وإن قال به أكثر أهل الزمان!

جاء في (فيض القدير ٤-٢٧٤): "قال الثوري -رحمه الله-: **إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط. لأنه لو نطق بالحق لأبغضوه.**

وقال الغزالي -رحمه الله-: **وقد صار ما ارتضاه السلف من العلوم غريبا بل اندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع وقد صارت علوم أولئك غريبة بحيث يمقت ذاكرها**".اهـ

إن الــدروس بمصــرنا في عصــرنا　　طبعــت علــى غلــط وفــرط عيــاط

ومباحــث لا تنتهــي لنهايــة　　جــدلاً ونقــلاً ظــاهر الأغــلاط

ومــدرس يبــدي مباحــث كلهــا　　نشــأت عــن التخلــيط والأخــلاط

والفاضــل النحريــر فــيهم دأبــه　　قــول (أرســطاليس) أو بقــراط

وعلــوم ديــن الله نادت جهــرة　　هــذا زمــان فيــه طــيّ بســاط!

٤٤- (أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٥٥)).

فمهما ظهرت غربة الإسلام في زمن، وكثرت فيه القلاقل والفتن، واشرئب الجهل وأطل برأسه فيه، إلا أن وعد الله بإظهار دينه حق، لا ريب فيه.. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه

الله: "وكذلك بدأ غريباً ولم يزل يقوى حتى انتشر. فهكذا يتغرب في كثير من الأمكنة والأزمنة، **ثم يظهر حتى يقيمه الله – عز وجل** – كما كان عمر بن عبد العزيز لما ولي، قد تغرب كثير من الإسلام على كثير من الناس، حتى كان منهم من لا يعرف تحريم الخمر. فأظهر الله به في الإسلام ما كان غريباً".اهـ [مجموع الفتاوى ١٨/٢٩٦].

٤٥- (وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ** (٦٠)).

فأكثر الناس لا يشكرون، ولا يطيعون ولا يمتثلون، فلا يكن حالك كحالهم، ولا تتأس بفعالهم، بل ليكن حالك حال الشاكرين ومن حالف، ولا تكترث لمن حاد أو خالف!

قال الحسن: "المؤمن في الدنيا كالغريب، لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، **للناس حال وله حال**".اهـ [أخرجه أحمد في الزهد ص٢٦٢، وانظر: كشف الكربة ص٤٧].

وأنشد أبو بكر المؤدب رحمه الله:

وترى المؤمن في الدنيا غريباً مستفزا	فهو لا يجزع من ذل ولا يطلب عزا
وتراه من جميع الخلق خلو مشمئزا	ثم بالطاعة ما عاش وبالخير ملزا[1]

٤٦- (**فَمَا آمنَ لِمُوسَى إلا ذُرِيَّةٌ مِن قَومِهِ** عَلَى خَوفٍ مِن فِرعَون ومَلإيهِم أن يَفتِنَهُم وإِنَّ فِرعَونَ لعالٍ في الأرضِ وإنهُ لَمِنَ المسرِفِينَ (٨٣)).

قال صاحب كتاب "أصول الدعوة" تعليقاً على هذه الآية: "**فالخوف من بطش فرعون وملئه منع أكثر الجمهور من الإيمان به –أي بموسى– ولم يؤمن به إلا قلة منهم**".اهـ [أصول الدعوة ص٣٩٣].

فالخوف من بطش السلاطين، أو مخالفة العشرات والمئين، عقبة كأود في طريق التمسك بصحيح الدين، **ولقد اعترف لي بعضهم بهذه الحقيقة، رغم أنه من حزب الباطل وفريقه!**

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "**ولا تستصعب مخالفة الناس، والتحيز إلى الله ورسوله ولو كنت وحدك**، فإن الله معك وأنت بعينه وكلاءته وحفظه لك، وإنما امتحن يقينك

(١) كتاب الغرباء للإمام الآجري ص٢٤.

وصبرك، وأعظم الأعوان لك على هذا –بعد عون الله– التجرد من **الطمع والفزع**، فمتى تجردت منهما هان عليك التحيز إلى الله ورسوله وكنت دائماً في الجانب الذي فيه الله ورسوله، ومتى قام بك الطمع والفزع فلا تطمع في هذا الأمر ولا تحدث نفسك به!".اهـ [الفوائد ١٤٣-١٤٤].

٤٧– (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢)).

وأشد ما تكون الغفلة، حين يتشاغل أهل الملة، ويضيعون أوقاتهم في غير طاعة، فتقوم الساعة وليس لأحدهم كثير بضاعة!

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**رأيتُ عمومَ الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً**، إن طال الليلُ فبحديثٍ لا ينفع، أو بقراءة كتاب غزاة وسَمَر، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دِجْلة، أو في الأسواق، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبرٌ.

ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبية الزَّاد، والتأهّبِ للرحيل".اهـ [صيد الخاطر ص٩٩].

فلا تكن –أيها القارئ– من جملة الغافلين، فتقعد عن نصرة الملة مع القاعدين.. ولقد أنشد إبراهيم بن محمد:

(الطرق شتى)، طريق الحق منفرد	والسالكون طريق الحق أفراد
لا يطلبون ولا تطلب مساعيهم	فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما له قصدوا	فجُلهم عن طريق الحق رقاد[1]

(١) كتاب الغربة للآجري، والبيت الأول ناقص في النسخة التي بين يدي، وما بين القوسين تكملته، وجدتها في "طبقات الشافعية"، وفي "إحياء علوم الدين" ٧٥/١ بهذا اللفظ:

الطرق شتى، وطرق الحق منفردة	والسالكون طريق الحق أفراد

***

سورة هود:

٤٨- (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٧)).

فإذا عرفت طريق الحق فالزمه وكن من رجاله، ولا تكن في مرية منه لقلة السالكين له وكثرة ضلاله! قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "**كن في الجانب الذي فيه الله ورسوله وإن كان الناس كلهم في الجانب الآخر**، فإن لذلك عواقب هي أحمد العواقب وأفضلها، وليس للعبد أنفع من ذلك في دنياه قبل آخرته، **وأكثر الخلق إنما يكونون من الجانب الآخر**، ولا سيما إذا قويت الرغبة والرهبة، فهناك لا تكاد تجد أحداً في الجانب الذي فيه الله ورسوله، بل يعده الناس ناقص العقل سيء الاختيار لنفسه! **وربما نسبوه إلى الجنون وذلك من مواريث أعداء الرسل،**[1] **فإنهم نسبوهم إلى الجنون لما كانوا في شق وجانب، والناس في شق وجانب آخر،**[2] ولكن من وطّن نفسه على ذلك فإنه يحتاج إلى علم راسخ بما جاء به الرسول يكون يقيناً له لا ريب عنده فيه، وإلى صبر تام على معادة من عاداه ولومة من لامه، ولا يتم له ذلك إلا برغبة قوية في الله والدار الآخرة، بحيث تكون الآخرة أحب إليه من الدنيا وآثر عنده منها، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما[3]..".اهـ [الفوائد ١٤٢-١٤٣].

وقال شيخنا عاصم الحافي حفظه الله: "الأصل في الداعية والمجاهد أن يسلك طريق الطائفة المنصورة ويستقيم على سبيل الهدى **ولا يحزن لقلة السالكين**، ويتجنب سبل الضلالة ويعرض عن أهل التخذيل **ولا يتضرر بكثرة الهالكين.. فهذه سنة الله في هذا الدين فلم**

(١) قال الله تعالى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [الذاريات: ٥٢-٥٣].

(٢) ولقد حصل ذلك للعبد الفقير إلى الله الغني به؛ حيث سُئل أحد رؤوس أهل البدع –عندنا– فقيل له: هل تركي البنعلي مبتدع ويجب التحذير منه؟ فقال فض الله فاه: **"تركي ليس مبتدعاً ولكنه مجنون!"**.

(٣) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: **أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) [متفق عليه].

يزل أنصاره هم القلة الغرباء دوماً، وفي الصحيح: يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد، **ومن استذكر من سبقه من الشهداء والصادقين من المجاهدين والعلماء والدعاة العاملين وغيرهم من أنصار هذا الدين، واستحضر قوافلهم الضاربة في أعماق التاريخ لم يشعر بالغربة ولم يتضرر لقلة الأنصار وكثرة المخالفين والمخذلين..**

ولا تنتظر بالسير رفقة قاعدٍ	**ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا**
وإما تخافت الكلال فقل لها:	أمامك وِردُ الوصل فابغ المناهلا
وخذ قبساً من نورهم ثم سر به	**فنورهم يهديك ليس المشاعلا**
وقل ساعدي يا نفس بالصبر ساعة	فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلا
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي	ويصبح ذو الأحزان فرحان جاذلا"

[وقفات مع ثمرات الجهاد ص١٥٤-١٥٥].

٤٩- (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠)).

قال الإمام الكبير، عماد الدين ابن كثير: "**قال الله تعالى: (وما آمن معهُ إلا قليل) هذا مع طول المدة والمقام بين أظهرهم، ودعوتهم الأكيدة ليلاً نهاراً بضروبِ المقال وفنون التلطُّفاتِ، والتهديد والوعيد تارةً، والترغيب والوعد أخرى**. وقد اختلف العلماءُ في عِدة من كان معه في السفينة. فعن ابن عباس: كانوا **ثمانين** نفساً، معهم نساؤهم. وعن كعب الأحبار: كانوا **اثنين وسبعين** نفساً. وقيل: كانوا **عشرة**. وقيل: إنما كانوا **نوحاً وبنيه الثلاثة وكنائنه الأربع بامرأة يام**؛ الذي انخزل[1] وانعزل، وسلك عن طريق النجاة، فما عدل إذ عدل... وقيل: كانوا **سبعة**".اهـ [قصص الأنبياء ص٩٦].

فتأمل يا أخا الإسلام، في تعداد من آمن مع نوح طوال هذه الأعوام! قال الله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)) [العنكبوت].

---

(١) "انخزل": ارتد.

قال العماد ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "**هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يخبره عن نوح عليه السلام أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلى الله تعالى ليلا ونهارا وسرا وجهارا ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فرارا عن الحق وإعراضا عنه وتكذيبا له وما آمن معه منهم إلا قليل**، ولهذا قال تعالى: (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) أي بعد هذه المدة الطويلة ما نجع فيهم البلاغ والإنذار فأنت يا محمد لا تأسف على من كفر بك من قومك ولا تحزن عليهم فإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وبيده الأمر وإليه ترجع الأمور".اهـ [تفسير القرآن العظيم ٣/٥٠٢].

فحري بك أخا التوحيد، أن لا تتضرر بمخالفة زيدٍ أو عبيد..

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال: (عرضت علي الأمم فجعل **يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد**..) [الحديث؛ أخرجه البخاري ومسلم].

قال شيخنا عاصم الحافي حفظه الله: "**احذر من التردد والتخاذل عن إتباع الحق ونصرته لقلة الأنصار السالكين أو لكثرة المخالفين والمثبطين**، فالجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك.. **وما بالكثرة يعرف الحق ولا بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق.. وتذكّر أن النبي يأتي يوم القيامة وليس معه من الأتباع والأنصار إلا الرجل والرجلين.. ويأتي النبي وليس معه أحد.. وهو نبي!!**".اهـ [إمتاع النظر ص١٤٣]. فما الظنك بك أو بي؟!

٥٠- (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ **أُولُو بَقِيَّةٍ** يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ **إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ** واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين (١١٦)).

قال شيخ المفسرين الطبري رحمه الله: "(إلا قليلا ممن أنجينا منهم) يقول: **لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا يسيرا** فإنهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض فنجاهم الله من عذابه حين أخذ من كان مقيما على الكفر بالله عذابه، وهم أتباع الأنبياء والرسل".اهـ

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "قال شيخ الإسلام: ((باب الغربة)) قال الله تعالى: (فلولا كان من القرون مِن قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلاَّ قليلاً ممن أنجينا منهم)).

استشهاده بهذه الآية في هذا الباب: يدل على رسوخه في العلم والمعرفة، وفهم القرآن. **فإن الغرباء في العالم: هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية**".اهـ [مدارج السالكين ٢٠٣/٣].

فكن -أيها القارئ- من أهل هذه الصفة، وإن كثر أهل الجهل والسفه! ولقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ملحفة متعطفا بها على منكبيه وعليه عصابة دسماء[1] حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد: أيها الناس، **فإن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام**..) [أخرجه البخاري].

وعن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا: (**يوشك أن تكونوا في الناس كالملح في الطعام، ولا يصلح الطعام إلا بالملح**) [رواه الطبراني، والبزار].

وعن أبي موسى عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (أنتم في الناس كالملح في الطعام) قال: ثم قال الحسن: "ولا يطيب الطعام إلا بالملح". ثم يقول الحسن: "**كيف بقوم ذهب ملحهم؟!**" [رواه ابن أبي شيبة].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "(حتى تكونوا كالملح في الطعام) في "علامات النبوة" (بمنزلة الملح في الطعام) أي في القلة، لأنه جعل غاية قلتهم الانتهاء إلى ذلك، والملح بالنسبة إلى جملة الطعام جزء يسير منه والمراد بذلك المعتدل".اهـ [فتح الباري ١٥٥/٧].

فحافظوا يرحمكم الله على ما تبقى من ملح، وإياكم ثم إياكم من التواني والتكاسل في نصرة الدين والشح!

يا معشر القراء يا ملحَ البلد ... من يصلح الملحَ إذا الملحُ فسد؟!

***

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "أي: لونها لون الدسم وهو الدهن، وقيل: المراد أنها سوداء لكن ليست خالصة السواد".اهـ [فتح الباري ١٥٤/٧].

سورة يوسف:

٥١- (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٢١)).

خانت هذه المرأة بعلها ولم تحفظه في غيابه، فراودت يوسف عن نفسها ومزقت في ذلك ثيابه، ولأجل مثل هذه الأفاعيل، وهذه المخازي والأباطيل، كانت أكثر أهل النار النساء، **حاشا الغريبات ذوات الدين والحياء.**

جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أريت النار فإذا **أكثر أهلها النساء** يكفرن) . قيل: أيكفرن بالله؟ قال: (يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خير قط) [متفق عليه].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "ثم نظرتُ في النساء، فرأيتهنَّ قليلاتِ الدين، عظيماتِ الجهل، **ما عندهنَّ من الآخرة خيرٌ إلا من عصم الله**".اهـ [صيد الخاطر ص٤١].

لذلك فيندر أن تعثر في هذه الأزمان المتأخرة، على امرأة اجتمعت فيها جميع الصفات الخيرة! عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كمل من الرجال كثير، **ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**) أخرجه البخاري ومسلم، وقد ورد بزيادة: (وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد) كما عند الطبراني، وأبي نعيم، والثعلبي.

٥٢- (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٣٨)).

فعليك أيها القارئ أن تتبع ملة إبراهيم وسنة خير المرسلين العاطرة، ولا تلتفت إلى الكثرة الكاثرة، فأهل الباطل هم الأكثر من قبل ومن بعد.. قال الإمام ابن الحسين محمد: "كان الناس قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم أهل أديان مختلفة: يهود ونصارى ومجوس وعبدة أوثان، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم **كان من أسلم من كل طبقة منهم غريباً في حيه، غريباً في قبيلته، مستخفياً بإسلامه، قد جفاه الأهل والعشيرة، فهو**

عنهم[1] **ذليل حقير، محتمل للجفاء، صابر على الأذى**، حتى أعز الله عز وجل الإسلام وكثر أنصاره، وعلا أهل الحق وانقمع أهل الباطل، فكان الإسلام في ابتدائه غريباً بهذا المعنى، وقوله صلى الله عليه وسلم: **(وسيعود غريباً)، معناه –والله أعلم– أن الأهواء المضلة تكثر فيضل بها كثير من الناس، ويبقى أهل الحق الذين هم على شريعة الإسلام غرباء في الناس**..".اهـ [كتاب الغرباء للإمام الآجري ص٢٤-٢٥].

ومن الأهواء المضلة التي كثرت وعمّت، وانتشرت فاصمت وأعمت، حتى أزكمت الأنوف، واعتنقها من أهل الإسلام الألوف؛ **بدعة الإرجاء، نسأل الله أن يطهر منها الأرجاء**..

٥٣- (مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٤٠)).

فتأمل يا صاحب الفطرة السليمة، كيف بين الباري في هذه الآية الكريمة، أن صرف الحكم لغير الله عبادة لغير الله، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "يقرّر هذا التوحيد بأنه هو الحاكم وحده، فلا يحكم غيره شرعاً ولا جزاء (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه)".اهـ [القواعد الحسان ص٢٤]. **ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، فيتساقطون في المهاوي والمهالك؛ يعبدون رباً في الصلاة والصيام، ويعبدون أرباباً في تشريع الأحكام!**

قال شيخ الإسلام الثاني، الإمام الرباني ابن القيم رحمه الله في تعريف الطاغوت –الذي أمرنا أن نكفر به–، قال: "الطاغوت: كل ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبود أو متبوع أو مُطاع، **فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله**، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، **فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته**".اهـ [إعلام الموقعين ١/٥٠].

وقال أيضاً: "ومن صفات هؤلاء الغرباء .. التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم، **وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس**،

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: "فيهم"، والله أعلم.

وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله، لا شيخ، ولا طريقة، ولا مذهب، ولا طائفة. **بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده، وإلى رسوله بالإتباع لما جاء به وحده.** وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقاً، وأكثر الناس، بل كلهم لائم لهم. فلغربتهم بين هذا الخلق: **يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم**".اهـ [مدارج السالكين ٣/٢٠٧].

٥٤- (وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** (٦٨)).

فالعلم هبة من الله واصطفاء، يهبه من أفذاذ خلقه من يشاء، وما كل من حمل معلومة عد عالماً، وما كل من قرأ مسألة عد فاهماً!

فعليك أخي الموحد أن تبحث عن العلماء الربانيين وتُفتش، ولما قيل للإمام الأعمش: يا أبا محمد قد أحييت العلم بكثرة من يأخذه عنك. فقال: "لا تعجبوا فإن ثلثاً منهم يموتوا قبل أن يدركوا، وثلثاً **يلزمون السلطان فهم شر من الموتى، ومن الثلث الثالث قليل من يفلح**".اهـ [جامع بيان العلم وفضله ١/١٨٥].

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**ثم تأملتُ العلماء والمتعلمين فرأيت القليل مِنَ المتعلمين من عليه أمارة النجابة**؛ لأنَّ أمارة النجابة طلبُ العلم للعمل به، **وجمهورهم يطلب ما يُصيِّره شبكةً للكسب**، إما ليأخذ قضاءَ مكان، أو ليصير قاضيَ بلد، أو قدر ما يتميز به عن أبناء جنسه، ثم يكتفي".اهـ [صيد الخاطر ص٤١].

٥٥- (**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ** (١٠٣)).

فإذا حملت أمانة الدين، فلا تستثقلها لقلة النصير والمعين، واحتسب الأجر عند الله والثواب، على قدر المشقة في ذلك والصعاب..

وقد جاء في حديث أبي ثعلبة: أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى: (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقال: (يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك **ودع عنك العوام**، إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر

خمسين منكم) قيل: بل منهم يا رسول الله؟ قال: (لا بل منكم **لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا**) [أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه، وابن ماجه].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "إن قرنه صلى الله عليه وسلم إنما فُضل[1] **لأنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار، وصبرهم على أذاهم، وتمسكهم بدينهم.**

وإن أواخر هذه الأمة إذا أقاموا الدين، وتمسكوا به، وصبروا على طاعة ربهم، في حين ظهور الشر، والفسق، والهرج، والمعاصي، والكبائر: **كانوا عند ذلك -أيضاً- غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الوقت، كما زكت أعمال أوائلهم**، ومما يشهد لهذا قوله عليه الصلاة والسلام: (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء)".اهـ [تفسير القرطبي ٤/١٧٢].

٥٦- (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦)).

قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "فالمراد بإيمانهم اعترافهم بأنه ربهم الذي هو خالقهم ومدبر شؤونهم، **والمراد بشركهم عبادتهم غيره معه**".اهـ [أضواء البيان ٢/٢١٨]

قلت: هذا عن المشركين الأوائل، كما دلت الدلائل، أما في الوقت الحاضر، والجيل المعاصر، فهم -أي طواغيت الحكم- يعترفون بأنه ربهم الذي هو خالقهم، ولكن لا يعترفون أنه مدبر شؤونهم! بل يدعون صفة التشريع، ويُحكمون القانون الوضيع، وينيطون به تدبير الشؤون، اقتداء منهم بشيخهم نابليون!

قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "وقال بعض العلماء: نزلت الآية: في قول الكفار في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وهو راجع إلى ما ذكرنا".اهـ [أضواء البيان ٢/٢٢٠]

قلت: ونظير ذلك قول الكفار اليوم في دساتيرهم: الشريعة الإسلامية مصدر رئيس في التشريع.[1] بمعنى: أن هناك مصادر أخرى رئيسية وفرعية، وهذا هو عين شرك الأوائل، فحذار حذار من سبيل أهل الرذائل..

---

(١) عن عبد الله: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) [متفق عليه].

***

سورة الرعد:

٥٧- (المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ (١)).

فينبغي على السني أن يوقن أن هذا الطريق المستمد من نور الوحيين على فهم السلف الصالح هو طريق الحق، ولا يستوحش من قلة السالكين أو كثرة المخالفين من الخلق! قال الفضيل بن عياض رحمه الله ما معناه: "**اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلةُ السالكين، وإياك وطُرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين**".اهـ

ولقد مرت النصوص والآثار في ذلك، وسيأتي بإذن الله أضعاف ذلك.. بل؛ حتى الشيعة الرافضة الأراذل، يؤكدون هذا المعنى وإن كانوا على باطل، خذ على سبيل المثال ما نسبوه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث يقول: "**لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة من يسلكه**".اهـ [نهج البلاغة ٢/٥٨٤،[2] والغارات ٢/١٨١، وغيبة النعماني ص٣٥].

=

(١) أي: ليس المصدر الوحيد.

(٢) قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضى: "وقد اختلف الناس في كتاب (نهج البلاغة) المجموع من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضي؟ وقد قيل: **أنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه**، والله أعلم".اهـ [وفيات الأعيان ٣/٣١٣].

بل جزم الإمام الذهبي رحمه الله بأنه موضوع مكذوب على علي رضي الله عنه فقال الذهبي في ميزان الاعتدال: "**مَن طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه**، ففيه السب الصُراح، والحطّ على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي مَن له معرفة بنفَس القرشيين الصحابة وبنفَس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل".اهـ [ميزان الاعتدال ٣/١٢٤].

وجاء في "شذرات الذهب" و"مرآة الجنان" بهذا الشأن: "وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هل جمعه الشريف المرتضى أم أخوه الرضي. **وقد قيل**: إنه من
=

٥٨- (أوَلَمْ يَرَوا أَنَّا نَأتِي الأرضَ نَنقُصُهَا مِن أَطرَافِهَا واللهُ يَحكُمُ لا مُعَقِبَ لِحُكمِهِ وهوَ سَرِيعُ الحِسَابِ (٤١)).

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في معنى نقصان الأرض: "**أنه ذهاب فقهائها وخيار أهلها**، رواه عطاء عن ابن عباس".اهـ [زاد المسير في علم التفسير ٤/٢٦٠].

وقال العماد ابن كثير رحمه الله: "قال ابن عباس في رواية: **خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها**، وكذا قال مجاهد أيضاً: **هو موت العلماء**".اهـ

عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر، لا يبالهم الله بالة**) رواه أحمد والبخاري، وفي لفظ البخاري: (**لا يعبأ الله بهم شيئاً**).

=

كلام علي، **وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه**، والله أعلم".اهـ [شذرات الذهب ٣/٢٥٧. ومرآة الجنان ٣/٥٥] وكلمة "قيل" من صيغ التمريض والتضعيف كما هو معلوم عند صغار العلم، فضلاً عن كبارهم . [انظر "منهج النقد في علوم الحديث" ص ٢٩٦، ومعجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد ص ٢٨٦].

أما الحافظ ابن حجر العسقلاني فيتهم الشريف المرتضى بوضعه، ويقول: "**ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي .. وأكثره باطل**".اهـ [لسان الميزان ٤/٢٢٣].

وذهب النجاشي إلى **أن مؤلف الكتاب هو الشريف الرضي** (٣٥٩هـ/٩٧٠م-٤٠٦هـ/١٠١٦م)، فقد ذكر في تفسيره أنه هو الذي ألفه ووسمه باسم "نهج البلاغة". [الرجال ص٣١١ . وحقائق التنزيل ص١٦٧].

ولعل ما يعزز ذلك قول ابن شهراشوب وهو شيعي من أهل القرن السادس الهجري: "الشريف الرضي الموسوي، وهو أبو الحسن محمد بن الحسين، **له نهج البلاغة**".اهـ [انظر: شهراشوب السروي رشيد الدين أبي جعفر محمد بن علي ص٤٤. وكتابه هذا تتمة لكتاب "الفهرست" للشيخ أبي جعفر الطوسي، وقد نشره عباس إقبال بطهران، مطبعة فرديني١٣٥٣هـ].

وقد ذكر كرد علي: أن الرضي نفسه يصرح بأن روايات الكتاب تختلف اختلافاً شديداً، وأن ابن أبي الحديد الذي قام بشرحه يعترف بأن ما عُزِيَ إلى أمير المؤمنين هو من كلام غيره من الحكماء . [أمراء البيان ١/٥٧١].

قال الإمام البخاري رحمه الله: "يقال: حفالة وحثالة".اه[١]

وقال الخطابي: "(الحثالة)؛ بالفاء وبالمثلثة: الرديء من كل شيء، وقيل: آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأردأه".اهـ

وقال ابن التين: "(الحثالة) سقط الناس، واصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرهما".اهـ

وقال الداودي: "ما يسقط من الشعير عند الغربلة، ويبقى من التمر بعد الأكل".اهـ

وقال ابن الأثير: "وتبقى حفالة كحفالة التمر؛ أي: رذالة من الناس كرديء التمر ونفايته".اهـ

وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يذهب الصالحون الأول فالأول، وتبقى حثالة كحثالة التمر، لا يبالي الله بهم)** رواه الطبراني في الأوسط. وقال الهيثمي: "ورجاله ثقات".اهـ

وعن رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(تذهبون الخيِّر فالخيِّر، حتى لا يبقى منكم إلا مثل هذا، وأشار إلى حشف التمر)** رواه البخاري في التاريخ، والطبراني في الكبير، والحاكم في مستدركه، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".اهـ

وقد رواه ابن حبان في صحيحه ولفظه: قال: قرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تمر ورطب، **فأكلوا منه، حتى لم يبق منه شيء إلا نواة،** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتدرون ما هذا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **(تذهبون الخيِّر فالخيِّر، حتى لا يبقى منكم إلا مثل هذا)**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لتُنتَقُنَّ كما يُنتقى التمر من الجفنة، فلَيَذهَبَنَّ خيارُكم، وليَبقَيَنَّ شرارُكم، حتى لا يبقى إلا من لا يعبأ**

---

(١) يعني: أنهما بمعنى واحد.

الله بهم، فموتوا إن استطعتم)[1]. رواه البخاري في "الكنى"، وابن ماجة، والحاكم، وهذا لفظه، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".اهـ

وقد رواه ابن حبان في صحيحه مختصراً، ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(تُنقون كما ينقى التمر من حثالته)**.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **(يذهب الصالحون أسلافاً، ويبقى أهل الريب ممن لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً)**[2] [رواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/١٠٥، وأبو نعيم في الحلية ١/١٣٥].

وقد من الله تعالى علي بمعارضة كتاب الرقائق لابن المبارك من رواية نعيم بن حماد مع شيخي المحقق المدقق عامر صبري التميمي حفظه الله -وهو لم يطبع بعد-، وقد جاء فيه عن ابن مسعود رضي الله عنه: "**يذهبُ الصالحون ويبقى أهل الرِّيبِ**، قالوا: يا أبا عبد الرحمن، من أصحاب الرِّيَبِ؟ قال: قومٌ لا يأمرونَ بمعروفٍ، ولا ينهونَ عن منكرٍ".اهـ

وقال الإمام أحمد في كتاب الصلاة: "جاء الحديث: (ترذلون في كل يوم وقد أسرع بخياركم)". ورواه البخاري في "الأدب المفرد" موصولاً عن الحسن من قوله.

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله بعد أن ذكر كثرة من ضل من العلماء والمتزهدين، والفقهاء والمفتين، قال: "**إلا رجالاً مؤمنين، ونساءً مؤمناتٍ، يحفظ الله بهمُ الأرض**، بواطنُهم كظواهرهم، بلى أجلى، وسرائرُهم كعلانيتِهم، بل أحلى، وهممُهم عند الثريَّا، بل أعلى، إن عُرِفوا تنكروا، وإن رُئيت لهم كرامة أنكروا، فالناس في غَفلاتهم، وهم في قطع فلاتهم، **تُحبهم**

---

(١) وأكرم موت: قتلة في سبيل الله، قال الإمام ابن حزم رحمه الله:

كِفاحاً مع الكفارِ في حومةِ الوغى ... **وأكرمُ موتٍ للفتى قتلُ كافرِ**

فيا ربِّ لا تجعل حِمامي بغيرها ... ولا تَجعلني من قطينِ المقابرِ

[سير أعلام النبلاء ١٨/٢٠٦].

(٢) قال الشيخ التويجري رحمه الله: "له حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يُقال من قبل الرأي وإنما يُقال عن توقيف".اهـ [إتحاف الجماعة ٢/٢١٠].

بقاع الأرض،[1] **وتفرح بهم أملاكُ السَّماء،**[2] نسأل الله عز وجل التوفيق لإتباعهم، وأن يجعلنا من أتباعهم".اهـ [صيد الخاطر ص١٤].

---

(١) قال الله تعالى: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** (٤)) [الزلزلة].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)، قال: (أتدرون ما أخبارها؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (**فإنَّ أخبارها أن تشهدَ على كل عبدٍ وأمة بما عمل على ظهرها**، أن تقول: عَمِل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها) [رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب].

وعند الطبراني من حديث ابن لهيعة: حدثني الحارث بن يَزِيدُ، سمع لربيعة الجُرشي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تَحَفَّظوا من الأرض فإنها أمكم؛ **وإنه ليس من أحدٍ عاملٍ عليها خيراً أو شراً إلا وهي مُخبِرةٌ**).

(٢) قال الله تعالى عن الكفار: (**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ** وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)) [الدخان].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من عبد إلا وله في السماء بابان: باب يخرج منه رزقُه، وباب يدخل منه عملُه وكلامُه، **فإذا مات فقداه وبكيا عليه**) وتلا هذه الآية: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)، وذُكر أنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً يبكي عليهم. ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم؛ كلام طيب، ولا عمل صالح فتفقدهم، فيبكي عليهم. [رواه أبو يعلى الموصلي، وابن أبي حاتم].

وعن شُريح بن عبيد الحضرمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً. ألا لا غربة على مؤمن، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض**) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)، ثم قال: (إنهما لا يبكيان على الكافر).

وعن عباد بن عبد الله قال: سأل رجل علياً رضي الله عنه: هل تبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال له: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد أقبلك، **أنه ليس عبداً إلا له مصلى في الأرض، ومصعَدُ عمله من السماء.** وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض، ولا عمل يصعد في السماء، ثم قرأ علي رضي الله عنه: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ). [رواه ابن أبي حاتم].

وعن سعيد بن جبير قال: أتى ابن عباس رجل فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ). فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: "**نعم، إنه ليس أحد**
=

فإذا نقصت الأرض، وتنكر جل أهلها عن الواجب والفرض، فاثبت أيها الموحد على درب الرشاد، فإنك حينئذ من الرواسي والأوتاد..

ولـولاهم كـادت تميـد بأهلهـا ... ولكـن رواسـيها وأوتادهـا هـم

ولـولاهم كانـت ظلامـاً بأهلهـا ... ولكـن هـم فيهـا بـدورٌ وأنجـم

***

سورة إبراهيم:

٥٩- (وقَالَ مُوسى إن تَكفُرَوا أنتم ومن في الأَرضِ جميعاً فإنَّ اللهَ لغَنيٌ حَمِيدٌ (٨)).

فكثرة من يرتد في زمنٍ من الأزمان، لا يعني أنهم على حقٍ أو برهان! ومن تأمل في موقف أبي بكر يوم الردة، اتضحت له هذه الحقيقة من وجوه عدة..

جاء في كتاب "البداية والنهاية"، عن هذه الحكاية: "قال الحسن وقتادة وغيرهما في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) الآية.. قالوا: المراد بذلك أبو بكر وأصحابه في قتالهم المرتدين ومانعي الزكاة.

=
من الخلائق إلا وله باب في السماء، منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، ففَقده بكى عليه، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها، بكت عليه، وإن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله منهم خيرٌ، فلم تبك عليهم السماء والأرض".اهـ [رواه ابن جرير، وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان يُقال: **تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحاً**".اهـ

وعن مجاهد رحمه الله قال: "ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً". فقال له رجل: أتبكي الأرض؟ قال: **"أتعجبُ؟! وما للأرضِ لا تبكي على عبدٍ، كان يعمرها بالركوع والسجود؟! وما للسماءِ لا تبكي على عبدٍ كان لتكبيره وتسبيحه دويٌ كدوي النحل؟!"**. [انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/١٦٩].

وقال محمد بن إسحاق: **ارتدت العرب عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خلا أهل المسجدين مكة والمدينة وارتدت أسد وغطفان** وعليهم طليحة بن خويلد الأسدي الكاهن، **وارتدت كندة ومن يليها** وعليهم الأشعث بن قيس الكندي، **وارتدت مذحج ومن يليها** وعليهم الأسود بن كعب العنسي الكاهن، **وارتدت ربيعة** مع المعرور ابن النعمان بن المنذر، **وكانت حنيفة مقيمة على أمرها** مع مسيلمة بن حبيب الكذاب، **وارتدت سليم** مع الفجأة واسمه أنس بن عبد ياليل، **وارتدت بنو تميم** مع سجاح الكاهنة.

وقال القاسم بن محمد: اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة الأسدي وبعثوا وفودا إلى المدينة فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم إلا العباس فحملوا بهم إلى أبي بكر على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لأبي بكر على الحق وقال: لو منعوني عقالاً لجاهدتهم. فردهم، فرجعوا إلى عشائرهم، **فأخبروهم بقلة أهل المدينة وطمعوهم فيها**، فجعل أبو بكر الحرس على أنقاب المدينة وألزم أهل المدينة بحضور المسجد، وقال: **إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة**، وإنكم لا تدرون ليلا يأتون أم نهارا، وأدناهم منكم على بريد وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم فاستعدوا وأعدوا.."اهـ [٦/٣١٢].

٦٠- (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦)).

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وقوله: (رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) يقول: يا رب إن الأصنام أضللن يقول: **أزلن كثيرا من الناس عن طريق الهدى وسبيل الحق حتى عبدوهن وكفروا بك**".اهـ

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: **(رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) لما كانت سببا للإضلال أضاف الفعل إليهن مجازا فإن الأصنام جمادات لا تفعل**".اهـ

وفي هذه الأزمان، التي انتشرت فيها قوانين الفرنسيس والبريطان، يقول المؤمن، داعياً ربه المهيمن: "**يا رب إن الدساتير أضللن كثيراً من الناس عن طريق الهدى وسبيل الحق حتى عبدوهن وكفروا بك**".اهـ

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل شيخ رحمه الله –مفتي بلاد الحرمين سابقاً-: "الخامس –أي من أنواع الحكم بغير ما أنزل الله-: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندةً للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقةً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية،

إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً، وتفريعاً وتشكيلاً وتنويعاً وحكماً وإلزاماً، ومراجع ومستندات. فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستندات؛ مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلهذه المحاكم مراجع، هي: القانون الملفق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملةٌ، مفتوحة الأبواب، **والناس إليها أسراب إثر أسراب**، ويحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب، من أحكام ذلك القانون، وتُلزمهم به، وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم. فأي كفر فوق هذا الكفر [1]، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة".اهـ [تحكيم القوانين ص٧].

***

سورة النحل:

٦١- (وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٣٨)).

لا ريب في يوم الجزاء، الذي يفلح فيه الغرباء، ويخسر فيه الأشقياء، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال: (هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا)؟ قلنا: لا. قال: (فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما). ثم قال: (ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب) وفي رواية: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، **ويتبع من كان يعبد الطواغيت**[2]

---

(١) الشيخ هاهنا يقرر أن هذا الكفر من الكفر المزيد، فهو كفر فوق كفر، لا أنه كفر دون كفر كما يهذي بذلك مرجئة العصر.

(٢) الطواغيت جمع طاغوت، والطاغوت كما قال مجاهد بن جبر رحمه الله: "الطاغوت: الشيطان في صورة الإنسان **يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم**".اهـ

=

=

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الطاغوت: فعلوت من الطغيان، والطغيان: مجاوزة الحد، وهو الظلم والبغي، فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارهاً لذلك: طاغوت.. إلى أن قال: ولهذا سمي من **تُحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله: طاغوت**".اهـ [مختصراً من مجموع الفتاوى ٢٨/٢٠٠-٢٠١].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو **متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله** أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله".اهـ.

ويقول أَيضاً رحمه الله: "**من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حكّم الطاغوت وتحاكم إليه**".اهـ [أعلام الموقعين ١/٥٠].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تَعالى: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا**) [النساء: ٦٠]. قال رحمه الله بعد أن ساق أقوالاً في معنى الطاغوت: "والآية أعم من ذلك كله فإنها ذامَّة **لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا**".اهـ

وقال الشيخ سليمان بن سحمان في أحد رسائله: "الطاغوت ثلاثة أنواع: **طاغوت حكم** وطاغوت عبادة **وطاغوت طاعة ومتابعة، والمقصود في هذه الورقة هو طاغوت الحكم**.."اهـ [الدرر السنية ١٠/٥٠٣].

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين في معنى الطاغوت: "ويشمل أَيْضاً **كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله**".اهـ [في رسالة له في تعريف العبادة وتوحيدها].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل شيخ مفتي بلاد الحرمين سابقاً: "والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد. **فكل من حكمَ بغير ما جاءَ بهِ الرسول صلى الله عليه وسلم أو حاكمَ إلى غير ما جاءَ بهِ النبي صلى الله عليه وسلم فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه**".اهـ [تحكيم القوانين ص٩].

وقال أيضاً: "ولا يجوز استبدال الشريعة الإلهية بالقوانين الوضعية، التي ما أنزل الله بها من سلطان، وإسناد مثل هذه المشاكل إلى أهل القوانين من إسناد الأمر إلى غير أهله، **لأنه من التحاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله بالكفر به** في قوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...). فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢/٢٧٤). أو فتاوى الأئمة النجدية (١/٣٣٠).

=

الطواغيت وتبقى هذه الأمة) ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا. فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم. ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما

=

وقال الشيخ محمد حامد الفقي: "الذي يستخلص من كلام السلف رضي الله عنهم: أن الطاغوت كل ما صَرَف العبد وصدّه عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس والأشجار والأحجار وغيرها. **ويدخل في ذلك بلا شك** : **الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال.. والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروّجوها طواغيت، وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إما قصداً أو عن غير قصد من واضعه، فهو طاغوت**".اهـ [فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٧٨].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "**كل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت**".اهـ [تيسير الكريم الرحمن ص١٨٤].

وقال العلامة محمد بن الأمين الشنقيطي في أضواء البيان: "**وكل تحاكم إلى غير شرع الله فهو تحاكم إلى الطاغوت**".اهـ [انظر: تفسير سورة الشورى].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "الطاغوت وهو **كل ما خالف حكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم**..".اهـ [مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن العثيمين ٣٩/١].

وسُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

السؤال الثالث من الفتوى رقم (٨٠٠٨) :

س : ما معنى الطاغوت عموماً، مع الإشارة إلى تفسير ابن كثير لآية النساء [٦٠] ؟

ج : أولاً معنى الطاغوت العام : ... **أو تحكيماً له بدلاً من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم** ونحو ذلك. والمراد بالطاغوت في الآية: **كل ما عدل عن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، إلى التحاكم إليه من: نظم وقوانين وضعية** ...

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبدالله بن قعود	عبدالله بن غديان	عبدالرزاق عفيفي	عبدالعزيز بن باز

تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا. فيقال: اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر **فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم**)، وفي رواية مسلم: **(فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم) وإنا سمعنا مناديا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا** قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم..) [الحديث، متفق عليه].

قال الإمام النووي رحمه الله: "(قالوا: **ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم**) معنى قولهم التضرع إلى الله تعالى في كشف هذه الشدة عنهم وأنهم لزموا طاعته سبحانه وتعالى **وفارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته سبحانه من قراباتهم وغيرهم ممن كانوا يحتاجون في معايشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم للارتفاق بهم وهذا كما جرى للصحابة المهاجرين وغيرهم ومن أشبههم من المؤمنين في جميع الأزمان فإنهم يقاطعون من حاد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع حاجتهم في معايشهم إلى الارتفاق بهم والاعتضاد بمخالطتهم فآثروا رضى الله تعالى على ذلك وهذا معنى ظاهر في هذا الحديث لا شك في حسنه**".اهـ [شرح صحيح مسلم ٣/٣٤].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "وأهل هذه الغربة، هم أهل الله حقّاً فإنهم لم يأووا إلى غير الله، ولم ينتسبوا إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يدعوا إلى غير ما جاء به، وهم الذين فارقوا النّاس أحوج ما كانوا إليهم. فإذا انطلق الناسُ يوم القيامةِ مع آلهتهم، بقوا في مكانهم، فيقال لهم: (ألا تنطلقون حيث انطلق الناس؟ فيقولون: فارقنا الناس، ونحن أحوج إليهم منّا اليوم، وإنا ننتظر ربنا الذي كنا نعبده)، **فهذه الغربة لا وحشة على صاحبها، بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس. وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا. فوليه الله ورسوله والذين آمنوا، وإن عاداه أكثر الناس وجفوه**".اهـ [مدارج السالكين ٣/٢٠٦].

٦٢- (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** (٧٥)).

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن**

الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا). رواه الترمذي، وهو ضعيف. **ولكن يصح وقفه على ابن مسعود رضي الله عنه.**

وقال الإمام ابن بطة رحمه الله: "**والناس في زماننا هذا أسراب كالطير، يتبع بعضهم بعضاً**، لو ظهر لهم من يدعي النبوة مع علمهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء أو من يدعي الربوبية: **لوجد على ذلك أتباعاً وأشياعاً**".اهـ [الإبانة ١/٢٧٢].

قلت: رحم الله الإمام ابن بطة، فإنا على فراسته نغبطه! إذ قد ظهر في زماننا هذا الأمر الفظيع الوضيع، فقام من يدعي الربوبية في الحكم والتشريع، ووجد على ذلك أتباعاً وأشياعاً، وتأييداً مذاعاً مشاعاً..

٦٣- (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣)).

فإنكار النعم والأعطيات، خُلق جاءت بذمه الآيات، فكيف بإنكار المعروف واجتنابه، واستمراء المنكر واقتحام أبوابه، وتعاطي مفاتحه وأسبابه؟!

نقل محمد بن وضاح عن بعض من مضى أنه قال: "**كم من أمر هو اليوم معروف عند كثر من الناس، كان منكراً عند من مضى**، وكم من متحبب إلى الله تعالى بما يبغضه الله، ومتقرب إلى الله بما يبعده الله منه، وكل بدعة عليها زينة وبهجة".اهـ [البدع والنهي عنها لابن وضاح].

٦٤- (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٠١)).

فأكثر الناس اليوم يتهمون أهل الحق بأنهم مفترون! ومبتدعة ضالون! و"خوارج مارقون"! وسبب ذلك جهل الأكثرية وأهوائهم! لا شذوذ أهل الحق القلة وابتداعهم! قال محمد بن الحسين رحمه الله: "يكون الغالب على الناس في جميع أمورهم، مثل مؤاخاة الإخوان، وصحبة الأصحاب، ومجاورة الجيران، وصلة الأرحام، وعيادة المريض وشهود الجنائز، وما يجري عليهم من المصائب، وما يسرون به من الأفراح بالدنيا، والمتاجرة والمعاملة والمحبة والبغضة، والمؤازرة والملاقاة والمجالسة، والاجتماع في الولائم، وأشباه لهذه الأمور، **فإن جميع ذلك يجري بينهم على خلاف الكتاب والسنة، لغلبة الجهل عليهم، ولدروس العلم فيهم، فإذا أراد المؤمن العاقل الذي قد فقهه الله عز وجل في الدين، وبصره عيوب نفسه.. ورزقه معرفة بالتمييز بين الحق والباطل، وبين الحسن والقبيح، وبين الضار**

والنافع، وعلم ما له مما عليه، إذ ألزم نفسه العمل بالحق بين ظهراني من قد جهل الحق، بل الغالب عليهم إتباع الهوى، لا يبالون ما نقص من دينهم، إذا سلمت لهم دنياهم، فإذا نظروا إلى من يخالفهم على طريقتهم ثقل ذلك عليهم، فمقتوه وخالفوه، وطلبوا له العيوب، فأهله به متضجرون، وإخوانه به متثقلون، ومعاملوه به غير راغبين في معاملته، وأهل الأهواء على غير مذهب الحق مخالفون، فصار غريباً في دينه لفساد دين أكثر الخلق، غريباً في معاملته لكثرة فساد معايش أكثر الخلق، غريباً في مؤاخاته وصحبته لكثرة فساد صحبة الناس ومؤاخاتهم، غريباً في جميع أمور الدنيا والآخرة، لا يجد على ذلك مساعداً يفرح به، ولا مؤانساً يسكن إليه، فمثل هذا غريب مستوحش، لأنه صالح بين فساق، وعالم بين جهال، حليم بين سفهاء، يصبح حزينا كثير غمه، قليل فرحه، كأنه مسجون، كثير البكاء، كالغريب الذي لا يعرف ولا يأنس به أحد، يستوحش به من لا يعرفه..".اهـ [كتاب الغرباء للإمام الآجري ص٢٦-٢٧].

٦٥- (إنَّ إبراهيمَ كانَ أمةً قَانِتاً للهِ حَنيفاً ولم يَكُ مِنَ المشرِكِينَ (١٢٠)).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما أُلقي إبراهيمُ في النار، قال: اللهم إنك في السماء واحدٌ، **وأنا في الأرض واحدٌ أعبدك**) [رواه البزار، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٠١: فيه عاصم بن عمر بن حفص، وثقه ابن حبان.. وضعفه الجمهور.].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه -أيضاً- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة فقيل دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي. ثم رجع إليها فقال: لا تكذبي حديثي فإني أخبرتهم أنك أختي، **والله ما على الأرض مؤمن غيري وغيرِك**) [أخرجه البخاري].[1]

(١) وقد آمن به لوط عليه السلام، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "وكل من على وجه الأرض كانوا كفاراً، سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليه السلام".اهـ [قصص الأنبياء ص١٤٧]، وقال أيضاً: "(إنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك) يعني: **زوجين مؤمنين غيري وغيرك**، ويتعين حمله على هذا؛ لأن لوطاً كان معهم".اهـ [المصدر السابق ص١٦٧].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "والأمة: الجماعة.. **وتكون واحدا إذا كان يقتدى به في الخير** ومنه قوله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله)، وقال صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل: **(يبعث أمة وحده)** لأنه لم يشرك في دينه غيره..".اهـ

وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم عُرف عند العرب "الأحناف" أو "المتحنفون"؛ وهم قلة على دين إبراهيم عليه السلام، وقد ذكر ابن هشام، نقلاً عن ابن إسحاق: "أن قريشاً اجتمعت يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده، **فخرج من بينهم أربعة نفر**، فأخذوا يتناجون فيما بينهم، ثم قال بعضهم لبعض: "**تعلمون، والله ما قومكم على شيء!**" وسخروا من أمرهم كيف يُطيفون بحجر، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ثم تفرّقوا يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم. وهؤلاء الرجال هم: زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث".اهـ [سيرة ابن هشام ١/٢٢٢-٢٢٣].

فيا أيها القارئ الصالح: إن رأيت الناس جميعاً قد خالفوا الحق الواضح، وولجوا الباطل المربد والظلمة، **فكن لوحدك أمة!**

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، **الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك**".اهـ وفي لفظ آخر: "إن جمهور الناس فارقوا الجماعة **وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى** ".اهـ [رواه البيهقي وغيره].

وقال الحسن البصري رحمه الله: "السنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي، **فاصبروا عليها رحمكم الله فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقى،** الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم **فكذلك إن شاء الله فكونوا**".اهـ

وعن الشعبي قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "**إن معاذاً كان أمة قانتاً**"، قيل له: إن إبراهيم كان أمة قانتاً! قال: فقال عبد الله: "**إنا كنا نشبه معاذاً بإبراهيم**"، قال: قيل له: فما القانت؟ قال: "المطيع لله ولرسوله".اهـ [أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/٣٩٤، والطبراني في "المعجم الكبير" ١٠/٧٠، والحاكم في مستدركه ٢/٣٥٨، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وأخرجه الآجري في "أخلاق العلماء" برقم (٣٦)].

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح!

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "كان شعبة –أي: ابن الحجاج– **أمةً وحده في هذا الشأن**".اهـ [سير أعلام النبلاء ٧/٢١٠].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق، **وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض**.

وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم فقال: أتدري ما السواد الأعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه. **فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم، والحجة والجماعة هم الجمهور، وجعلوهم عيارا على السنة، وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكرا، لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار**، وقالوا من شذ شذ الله به في النار، وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحدا منهم فهم الشاذون، **وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرا يسيرا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده هو على الحق!** فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل..".اهـ [إعلام الموقعين].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "هذا كلام الصحابة في تفسير السواد الأعظم، وكلام التابعين، وكلام السلف، وكلام المتأخرين، **حتى ابن مسعود ذكر في زمانه: أن أكثر الناس فارقوا الجماعة**.

وأبلغ من هذه: الأحاديث المذكورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غربة الدين، وتفرق هذه الأمة، أكثر من سبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة".اهـ [الدرر السنية ١٠/٤٥].

***

سورة الإسراء:

٦٦- (ثُمَّ رَدَدنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عليهِم وَأَمدَدنَاكُم بِأَموَالٍ وَبَنِينَ وجَعَلنَاكُم أَكثَرَ نَفِيراً (٦)).

قال الإمام الماوردي رحمه الله: "أكثر عدداً، وكثرة العدد تنفر عدوهم منهم".اهـ [النكت والعيون ٣/٢٣٠].

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "أي: أكثر عدداً وأنصاراً منهم".اهـ [زاد المسير ٥/٨].

ومع كثرة بني إسرائيل إلا أن كثرتهم لم تعصمهم من عدوهم والخطر، ولا من الخطأ والخطل.

هـذا وإن قتـال حـزب الله بال	أعمـال لا بكتائـب الشـجعانِ
والله مـا فتحـوا الـبلاد بكثـرة	**أنّى؟! وأعـداهم بـلا حسـبانِ!**

حقاً؛ من تدارس سير الصحابة والعترة، رأى أنهم لم يفتحوا البلاد بعدد ولا كثرة! ولقد قال عبد الله بن رواحة، ببيان فصل وفصاحة، رافعاً بتلك الكلمات صوته، محرضاً المؤمنين يوم مؤتة: "يا قوم، والله إن التي تكرهون، للتي خرجتم تطلبون –الشهادة–، **وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به،**[1] فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين؛ إما نصر وإما شهادة".اهـ [السيرة لابن هشام ٤/١١].

فأهل الإيمان على قلة الأعداد، وضعف العتاد، إلا أنهم بين نصر وسيادة، أو بلاء وشهادة، وحلول الأمر الأخير بهم، لا يدل على ضلالهم وسوء منهجهم! قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: "**لو قاتلونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر: لعرفتُ أننا على الحق، وأنهم على الباطل**".اهـ [سير أعلام النبلاء ١/٤٠٨].

---

(١) قال الإمام البخاري في كتاب الجهاد من صحيحه: "باب عملٌ صالح قبل القتال، وقال أبو الدرداء: **إنما تُقاتلون بأعمالكم**".اهـ [رواه عن أبي الدرداء؛ الإمام ابن المبارك في كتاب الجهاد، والإمام الدينوري في كتاب المجالسة، وانظر: فتح الباري ٦/٣١].

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**أترى إذا أريد اتخاذُ شهداء، فكيف لا يُخلق أقوامٌ يبسطون أيديهم لقتل المؤمنين**، أفيجوز أن يفتِك بعمر إلا مثلُ أبي لؤلؤة؟! وبعليّ إلا مثلُ ابن ملجم؟! أفيصح أن يقتل يحيى بن زكريا إلا جبارٌ كافر؟!

ولو أن عين الفهم زال عنها غِشاء العَشا لرأيت المسبِّبَ لا الأسباب، والمقدِّر لا الأقدار، فصبرت على بلائه، إيثاراً لما يريد، ومن هنا ينشأ الرِّضا".اهـ [صيد الخاطر ص٦٧].

فبما أننا واثقون من صحة السبيل، فلن نلتفت –بإذن الله– للعذاب والتنكيل، بل سنمضي بقوة الله وحوله وطوله وإن طال الطريق، متأسين في ذلك بأبي بكر الصديق، حين قال يوم الردة، بكل حزم وعزم وشدة: "**والله لو خالفتني شمالي لقاتلتها بيميني!**".اهـ [انظر: أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٧٨].

٦٧- (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ **لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً** (٦٢)).

بين الله تعالى في هذه الآية توعد الشيطان، واجتهاده في إضلال أكثر بني الإنسان، إلا القليل منهم، فإنه لن يسلط عليهم. قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "كما قال عز وجل: (أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته **إلا قليلا**)، **وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا)**".اهـ

(إلا قليلاً) قال ابن عباس: "هم أولياء الله الذين عصمهم".اهـ[1] اللهم اجعلنا منهم.

٦٨- (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ **فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا** (٨٩)).

قال الإمام الطبري رحمه الله: "(فأبى أكثر الناس إلا كفورا) يقول: **فأبى أكثر الناس إلا جحودا للحق وإنكارا لحجج الله وأدلته**".اهـ

(١) انظر "زاد المسير" ٥/٤٣، وغيره.

وهكذا حال الناس اليوم –إلا من رحم الله– مع طاغوت العصر الديمقراطية! أبى أكثر الناس إلا أن يكونوا مع الأغلبية! ويتركوا تحكيم القرآن المنزل، الذي صرف الله فيه للناس من كل مثل.

قال الشيخ المحدث العلامة أحمد شاكر رحمه الله: "نريد أن نحارب الوثنية والشرك الحديث، **اللذين شاعا في بلادنا وفي أكثر بلاد الإسلام**، تقليداً لأوربة الملحدة، كما حارب سلفنا الصالح الوثنيةَ القديمة والشرك القديم.. **وهدم الطاغوت الإفرنجي الذي ضرب على المسلمين في عقر دارهم في صورة قوانين**..".اهـ [كلمة حق ١٠-١١].

شرعُهم دستورُ كفرٍ قد رَقَعْ	صَدِأَ القانونُ فيه أم لَمَعْ
نهجهم يا قوم ديمقراطية	هَدّمَ الدينَ تُراهُ أو قَمَعْ
هتف الشعبُ لكفرٍ: نحن مَعْ	سَمّعَ الآذانَ جهراً أو شَمَعْ
كِبَ التيسُ على أكتافهم	رَكَعَ الشعبُ وصاحَ التيسُ: مَعْ
فاحفظوها ورددوها دائماً	**نحن مَعْ مَعْ ،نحن مَعْ مَعْ ،نحن مَعْ!**

***

سورة الكهف:

٦٩– (سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم **مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ** فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاء ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢)).

عن قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: "**أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله**".اهـ، ففي هذه الآية إشارة إلى أن أهل العلم الذين يستنبطون الأحكام، ويرشدون أهل الإسلام، قليلون بين الأنام.

وقد كانوا إذا عدوا قليلاً	**فصاروا اليوم أقل من القليلِ!**

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من أشراط الساعة أن **يُرفع العلم، ويثبُت الجهل**، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنا) [أخرجه البخاري].

وعنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أشراط الساعة أن **يقل العلم، ويظهر الجهل**، ويظهر الزنا، وتكثُر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيِّم الواحد) [أخرجه البخاري].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، **ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جُهّالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**) [متفق عليه].

وقد ذكر الإمام البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ في كتابه "**دلائل النبوة**" ٥٤٣/٦ حديث أنس الآنف: (إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم...) الحديث، في باب "ما جاء في إخباره صلى الله عليه وسلم بذهاب العلم وظهور الجهل" وقال تعقيباً عليه: "**فذهب ذلك في زماننا هذا من أكثر البلدان، واستولى على أهلها الجهل، وظهَر سائر ما روي في ذلك الخبر**".اهـ فإذا كان هذا هو وصف البيهقي رحمه الله لعصره، فكيف بزماننا وأهله؟!

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "**فكلما مات عالمٌ في بلد ولم يخلُفه غيره نقص العلم من تلك البلدة**".اهـ [فتح الباري ١٧/١٣].

وذكر أبو سليمان الخطابي رحمه الله حديث قبض العلم في كتابه (العزلة) وقال فيه: "قد أعلَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آفة العلم ذَهَاب أهله وانتحال الجهال وترؤسهم على الناس باسمه وحَذَّر الناس أن يقتدوا بمن كان من أهل هذه الصفة، وأخبر أنهم ضلال مُضلون – ثم روى الخطابي بسنده – عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلمُ ويظهر الجهل) – وقد رواه البخاري كما تقدم– قال الخطابي: **يريد والله أعلم ظهور الجُهال المنتحلين للعلم المترئسين على الناس به قبل أن يتفقّهوا في الدين ويرسخوا في علمه**".اهـ[1]

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله عن أولئك الجهال، المتصدرين للكلام والمقال: "ترى منهم من يتصدر ويفتقر الزمان إلى تصدره للرواية! **فيمدُّ يده إلى ما ليس من شُغله؛ فإن أفتى أخطأ، وإن تكلمَ في الأصول خلط**".اهـ [صيد الخاطر ص١١٥-١١٦].

وقد قال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بالقالي رحمه الله:

---

(١) "كتاب العزلة" ص ٩٦.

تصـــدر للتـــدريس كـــل مهـــوس	بليـــد تســـمى بالفقيـــه المـــدرسِ!
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا	ببيـــتٍ قـــديم شـــاع في كـــل مجلـــسِ
لقـد هزلـت حـتى بـدا مـن هزلهـا	**كلاهـــا وحـــتى ســـامها كـــل مفلـــس!**[1]

ويظهر هذا جلياً في زمن ظهور الباطل وجولته ودولته، لاسيما وأن بيده الإعلام المرئي والسمعي والمقروء برمته!

"**ولكن العلم لا يُرفع بالكلية من الأرض مادامت الطائفة المنصورة باقية وذلك حتى هبوب الريح التي تقبض أرواح المؤمنين**. وذلك بعد بدء العلامات الكبرى كخروج الدجال ومقتله، ونزول عيسى عليه السلام وموته، وخروج يأجوج ومأجوج ومهلكهم، وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وبهما يُختم على كل قلب بما فيه، ثم تهب تلك الريح فتقبض أرواح المؤمنين، ويبقى شرار الخلق عليهم تقوم الساعة، كما دلت على ذلك جملة أحاديث أشراط الساعة. وكأن العلم والإيمان من لوازم بقاء الدنيا، فإذا قبض العلم والإيمان قامت القيامة. نسأل الله تعالى لنا ولسائر المسلمين أن يثبتنا على دينه وأن يختم لنا بصالح الأعمال وأن يجعل الجنة مأوانا بغير مناقشة حساب ولا سابقة عذاب مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ذلك الفضل من الله، إنه على كل شيء قدير، آمين.".اهـ [الجامع في طلب العلم الشريف ص٢٠].

٧٠- ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤)﴾.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: " النفر: الرهط وهو ما دون العشرة وأراد **هاهنا الأتباع والخدم والولد**".اهـ وهكذا أهل الشرور، في كل العصور والدهور؛ يحتجون على صحة منهجهم الفاسد، ورأيهم الكاسد، بكثرة أتباعهم، وأنصارهم وجماعتهم!

***

(١) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨/٣٣٥.

سورة الأنبياء:

٧١- (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ** (٢٤)).

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: "وإنما أسند هذا الحكم إلى أكثرهم لا لجميعهم **تسجيلاً عليهم بأن قليلاً منهم يعلمون الحق ويجحدونه، أو إيماء إلى أن قليلاً منهم تهيأت نفوسهم لقبول الحق**".اهـ [التحرير والتنوير ١٧/٣٦].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي رحمه الله: "وقوله: (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) أي: وإنما أقاموا على ما هم عليه، تقليدا لأسلافهم يجادلون بغير علم ولا هدى، وليس عدم علمهم بالحق لخفائه وغموضه، وإنما ذلك، لإعراضهم عنه، **وإلا فلو التفتوا إليه أدنى التفات، لتبين لهم الحق من الباطل تبينا واضحا جليا ولهذا قال: (فَهُم مُّعْرِضُونَ)**".اهـ [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/٥٢١].

فإياك والإعراض، فإنه من أفتك الأمراض!

٧٢- (أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرضَ **نَنقُصُهَا مِن أَطرَافِهَا** أَفهُمُ الغَالِبُونَ (٤٤)).

لقد تقدمت الإشارة في آية (٤١) من سورة الرعد، إلى أن أحد معاني نقصان الأرض، هو موت علمائها وفقهائها وأهل الخير في طولها والعرض.

عندئذ لا تجد إلا بالكاد، من يصلح للإمامة الكبرى من أهل الرشاد، بل وحتى الصغرى في الأغلب الأعم من البلاد!

عن سلامة بنت الحر أخت خرشة بن الحر الفزاري رضي الله عنها؛ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد **لا يجدون إماماً يصلي بهم**) [رواه أحمد وأبو داود].

وفي رواية لأحمد: قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يأتي على الناس زمان يقومون ساعة **لا يجدون إماماً يصلي بهم**).(١)

---

(١) قال الشيخ التويجري رحمه الله: "وهذا حديث حسن".اهـ [إتحاف الجماعة ٢/١٦٩].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وإذا عمَّ الفسوق وغلب على أهل الأرض فلو مُنِعت إمامة الفُسَّاق وشهاداتهم وأحكامهم وفتاويهم وولاياتهم لعُطِّلت الأحكام وفَسَد نظام الخلق، وبطلت أكثر الحقوق، **ومع هذا فالواجب اعتبار الأصلح فالأصلح**".اهـ [إعلام الموقعين ٤/٢٢٠].

***

سورة الحج:

٧٣- (..وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)).[1]

قال الإمام البغوي رحمه الله: "(وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود".اهـ

فحذار أيها الأبرار، من الانسياق أو الانجرار، مع الكثرة المعذبة في النار! عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: **من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين** فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد). قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ قال: (أبشروا **فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا**. ثم قال والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة). فكبرنا فقال: (أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة). فكبرنا فقال: (أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة). فكبرنا فقال: (**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**). وفي رواية: (**إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار**) [متفق عليه].

فكن أيها المسدد، كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، وإياك أن تصبغ بصبغتهم، فتأخذ من لونهم!

قال الإمام القيم رحمه الله في نونيته "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية":

(١) قال الإمام البغوي رحمه الله: "والواو في قوله: (وكثير حق عليه العذاب) واو الاستئناف".اهـ

يا سلعة الرحمن لست رخيصة	بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن **ليس ينالها**	**في الألف إلا واحد لا اثنان!**
يا سلعة الرحمن ماذا كفؤها	إلا أولو التقوى من الإيمان
يا سلعة الرحمن سوقك كاسد	بين الأراذل سفلة الحيوان

قال –شارح النونية– العلامة محمد خليل هراس رحمه الله: "فالمؤلف يخاطب سلعة الرحمن التي هي جنته بأنها ليست رخيصة مبتذلة ولا مزهوداً فيها، بل هي غالية جداً على أهل الكسل والبلادة الذين لم يقدموا من السعي ما يرشحهم للظفر بها، **وهي لعلوها وتمنعها وغلاء مهرها لا يستطيع أن ينالها من كل ألف إلا واحد فقط، كما ورد في الحديث الصحيح: (إن الله عز وجل يقول لآدم عليه السلام: يا آدم اذهب فأخرج بعث ذريتك إلى النار، فيخرج من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون)**".اهـ [شرح القصيدة النونية ٢/٤٤١].

***

سورة المؤمنون:

٧٤– ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠)﴾.

قال الإمام الطبري رحمه الله: "(وأكثرهم للحق كارهون) يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمد عندهم مجنون بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول وفيما يدعوهم إليه **ولكن أكثرهم للإذعان للحق كارهون ولاتباع محمد ساخطون حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الأرض**".اهـ

وهكذا أكثر الأعداء في كل حين، يفترون على المؤمنين بكل نقيصة وشين، إذا دعوهم إلى ما لا تهواه أنفسهم من الحق والدين!

وأخبث ما يكون الإجرام؛ حين يُعاقَب الموحد بموجب أدائه لواجبات الإسلام! وقيامه بشعائره العظام! وثباته على أصول الدين، ومضيه في الدرب المبين..

كمثل التوحيد والدعوة إليه، والجهاد والتحريض عليه.. إلخ فقد صارت هذه الأمور، في هذه العصور، عند كثير من الدهماء، منكراً؛ يُعرض صاحبه للاتهام والازدراء!

وخصـــومنا قـــد (جرمـــونا) بالـــذي ... هـــو غايـــة التوحيـــد والإيمـــانِ!

ســلّوا علــى ســنن الرســول وحزبــه ... ســيفين ســيف يــد وســيف لســانِ[1]

قال الله تعالى في سورة الأعراف، حاكياً لنا قصة قوم لوط الأجلاف: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) **وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** (٨٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)).

وقال أيضاً في سورة النمل، عن موقف أولئك الهمل، من دعوة لوط عليه السلام، وبم أجابوه من قبيح الكلام: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** (٥٦) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨)).

قال العماد ابن كثير رحمه الله: "وذلك أن لوطاً عليه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحدَه لا شريكَ له، ونهاهم عن تعاطي ما ذكرَ الله عنهم من الفواحش، فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به، حتى ولا رجل واحد منهم، ولم يتركوا ما عنه نُهُوا، بل استمرُّوا على حالهم، ولم يرعووا عن غيِّهم وضلالهم **وهمّوا بإخراج رسولهم من بين ظَهرَانيهم، وما كان حاصل جوابهم عن خطابهم إذ كانوا لا يعقلون إلا أن قالوا: (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) فجعلوا غاية المدح ذمّاً يقتضي الإخراج، وما حملهم على مقالتهم هذه إلا العناد واللجاج**".اهـ [قصص الأنبياء ص٢١٦].

وعن وهب بن كيسان قال: **"كان أهل الشام يعيرون ابن الزبير، يقولون: يا ابن ذات النطاقين!** فقالت له أسماء: يا بني إنهم يعيرونك بالنطاقين[2] هل تدري ما كان النطاقان؟ **إنما**

---

(١) من نونية ابن القيم رحمه الله "الشافية الكافية"، وما بين القوسين من تصرف العبد الفقير.

(٢) "قال العلماء: النطاق أن تلبس المرأة ثوبها ثم تشد وسطها بشيء وترفع وسط ثوبها وترسله على الأسفل، **تفعل ذلك عند معاناة الأشغال لئلا تعثر في ذيلها**".اهـ [انظر: شرح صحيح مسلم ١٦/١٥٠].

كان نطاقي شقققته نصفين فأوكيت قربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحدهما، وجعلت في سفرته آخر. قال: فكان أهل الشام إذا عيروه بالنطاقين يقول إيهاً والإله[1] تلك شكاة ظاهر عنك عارها". [أخرجه البخاري].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "(تلك شكاة ظاهر عنك عارها) شكاة بفتح الشين المعجمة، معناه رفع الصوت بالقول القبيح... وظاهر أي زائل، قال الخطابي: أي ارتفع عنك فلم يعلق بك... قال: وتمثل ابن الزبير بمصراع بيت لأبي ذؤيب الهذلي وأوله: (**وعيرها الواشون أني أحبها**)،[2] **يعني لا بأس بهذا القول ولا عار فيه**... وتردد ابن قتيبة هل أنشأ ابن الزبير هذا المصراع أو أنشده متمثلاً به؟ والذي جزم به غيره الثاني وهو المعتمد، لأن هذا مثل مشهور، وكان ابن الزبير يكثر التمثل بالشعر، وقلما أنشأه".اهـ [فتح الباري ٩/٦٦١ باختصار].

وعن أبي نوفل: "...ثم[3] أرسل[4] إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك. قال: فأبت، وقالت: والله لا

---

(١) وفي رواية أحمد بن يونس: "إيهاً ورب العكبة".اهـ [انظر: فتح الباري ٩/٦٦٠].

(٢) قال أبو ذؤيب الهذلي:

هل الدهر إلا ليلة ونهارها ... وإلا طلوع الشمس ثم غيابها

أبى القلب إلا أم عمرو فأصبحت ... تحرّق ناري بالشكاة ونارها

وعيرها الواشون أني أحبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فإن أعتذر منها فإني مكذب ... وإن تعتذر يردد عليك اعتذارها

(٣) أي: بعد مقتل ابن الزبير رضي الله عنهما وصلبه.

(٤) أي: الحجاج بن يوسف الثقفي.

آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني. قال: فقال: أروني سبتي[1] فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف[2] حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له: **يا ابن ذات النطاقين أنا والله ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه**. أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا إخالك إلا إياه. قال: فقام عنها ولم يراجعها". [أخرجه مسلم]..

فحقيق بنا وحري، أن نتمثل –هاهنا- ببيت البحتري، حين قال:

إذا محاسني اللاتي أدلُّ بها — كانت ذنوبي فقل لي: كيف أعتذرُ؟! [3]

٧٥- (وهوَ الذي أَنشَأَ لكُمُ السَّمعَ والأَبصَارَ والأَفئدةَ **قليلاً ما تشكُرُونَ** (٧٨)).

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: "فالشكر عام في كل شكر نعمة، **وهو قليل بالنسبة لقلة عدد الشاكرين، لأن أكثر الناس مشركون كما قال تعالى: (ولا تجد أكثرهم شاكرين)** [الأعراف: ١٧]".اهـ [التحرير والتنوير ١٨/٨٥].

فكن شاكراً للنعم، وإن خالفتك الأمم..

***

سورة الفرقان:

٧٦- (وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ **وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا** (٣٨) وكلاً ضربنا لهُ الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا (٣٩).

(١) قال الإمام النووي رحمه الله: "(سبتي) بكسر السين المهملة وإسكان الموحدة وتشديد آخره وهي النعل التي لا شعر عليها".اهـ [شرح صحيح مسلم ١٦/١٤٩].

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله: "(يتوذف) هو بالواو والذال المعجمة والفاء. قال أبو عبيد: معناه يسرع. وقال أبو عمر: معناه يتبختر".اهـ [شرح صحيح مسلم ١٦/١٤٩].

(٣) انظر: ديوان البحتري ٢/٩٥٣.

عن الحسن رحمه الله في قوله: (وكلا تبرنا تتبيرا) قال: "**تبر الله كلا بعذاب تتبيرا**".اهـ

فبين الله تعالى أنه عذب قروناً كثيراً، لما تركوا الحق المبين، ومالوا للباطل المشين، ولم تشفع لهم كثرتهم الكاثرة، ليكونوا –لغيرهم– عبرة زاجرة.

٧٧– (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا (٤٤)).

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي –وكان من كبار العارفين في زمان أبي سليمان الداراني–: "**إني أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ، وعاد وصفُ الحق فيه غريباً كما بدأ، إن ترغب فيه إلى عالم وجدته مفتوناً بحب الدنيا، يُحب التعظيم والرئاسة، وإن ترغب فيه إلى عابد وجدته جاهلاً في عبادته مخدوعاً صريعاً غدره إبليس، وقد صعد به إلى أعلى درجة من العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها؟! وسائر ذلك من الرعاع، همج عوج وذئاب مختلسة، وسباع ضارية وثعالب ضوار، هذا وصف عيون أهل زمانك من حملة العلم والقرآن ودعاة الحكمة!**".اهـ [خرجه أبو نعيم في "الحلية"].

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "**فهذا وصف أهل زمانه فكيف بما حدث بعده من العظائم والدواهي التي لم تخطر بباله ولم تدر في خياله ؟!**".اهـ [كشف الكربة في وصف أهل الغربة ص٨].

قال أبو سفيان: "**فهذا تعقيب ابن رجب في زمانه فكيف بما حدث بعده من العظائم والدواهي التي لم تخطر بباله ولم تدر في خياله؟!**".

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "اعتبرت على **أكثر العلماء والزُّهاد** أنهم يبطنون الكِبر، فهذا ينظر في موضعه.. وهذا لا يعودُ مريضاً فقيراً يرى نفسه خيراً منه..".اهـ [صيد الخاطر ص١٩٠].

٧٨– (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا (٥٠)).

أخرج النسائي في التفسير عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) فقال: (قد قالها الناس، **ثم كفروا**، فمن مات عليها فهو من أهل الاستقامة).

وأخرجه الترمذي، ولفظه: (قد قالها الناس، **ثم كفر أكثرهم**، فمن مات عليها، فهو ممن استقام)، وقال: "حسن غريب".اهـ

قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في أثناء كلامه عن الردة: "وهذا الكفر الصريح بالقرآن والرسول في هذه المسألة: قد اشتهر في الأرض مشرقها ومغربها، **ولم يسلم منه إلا أقل القليل**".اهـ[1] [مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص٤٣].

***

سورة الشعراء:

٧٩- (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٨)).

بعد أن ذكر الله تعالى بعض آياته في الأرض فقال: (أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم)، بين أن أكثر الناس على رغم وضوح الآيات، لا يؤمنون برب البريات!

٨٠- (فَأَرسَلَ فِرعَونُ فِي المدائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إنَّ هـؤلاءِ لَشِرذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وإنهم لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وإنا لجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦)).

قال الإمام الزمخشري رحمه الله: "والشرذمة: **الطائفة القليلة**. ومنها قولهم: ثوب شراذم، للذي بلي وتقطع قطعاً، **ذكرهم بالاسم الدال على القلة. ثم جعلهم قليلاً بالوصف، ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً، واختار جمع السلامة الذي هو للقلة**، وقد يجمع القليل على أقله وقلل".اهـ [الكشاف ٣٣٢٠].

وقال الإمام الماوردي رحمه الله: "الشرذمة.. أنها العصبة الباقية من عصبة كبيرة وشرذمة كل شيء بقيته القليلة، ويقال لما قطع من فضول النعال من الجلد شراذم، وللقميص إذا خلق شراذم".اهـ [النكت والعيون ٤/١٧١].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: "**(لشرذمة قليلون) أي لطائفة قليلة** (وإنهم لنا لغائظون) أي كل وقت يصل منهم إلينا ما يغيظنا (وإنا لجميع حاذرون) أي نحن كل وقت نحذر من غائلتهم وإني أريد أن أستأصل شأفتهم وأبيد خضراءهم".اهـ

---

(١) لو كان قائل هذه العبارة هو أحد مشايخنا المعاصرين، لرُمي بمنهج الخوارج والتكفيريين، فتأمل!

وهكذا فإنك لا تجد أي بون، بين أسلوب فرعون وفرعون؛ دائماً يصفون أهل الحق بالشرذمة، ولا يرقبون فيهم إلاً ولا ذمة!

٨١- (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧)).

بعد أن بين الله تعالى نصرته للموحدين على رغم قلتهم، وخذلانه للمشركين على رغم كثرتهم، حيث قال: (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين)، بين سبحانه أن أكثر الناس لا يؤمنون، ولا يتعظون، بل يقفون جنباً إلى جنبٍ مع أعداء الله، ويناصرونهم على أولياء الله.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته:

لا تخش كثرتهم فهم همج الورى	وذبابه أتخاف من ذبابِ
وإذا تكاثرت الخصوم وصيّحوا	فاثبت فصيحتهم كمثل دخانِ

٨٢- (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣)).

بعد أن ذكر الله تعالى الجنة وأهلها، والنار وأهلها، وأن من أهلها من كان سبب دخوله لها هو اتخاذه مشرعين من دون الواحد المتين، يضعون للناس الدساتير والقوانين؛ فقال: (قالوا وهم فيها يختصمون * تالله إن كنا لفي ضلال مبين * **إذ نسويكم برب العالمين**) سواء كانت التسوية في العبادة والنسك، أو الحكم والتشريع..

بعد أن بين الله تعالى كل ذلك، ذكر أن أكثر الناس لا يؤمنون بذي الجلال، فمنهم من يعبد الأصنام بالدعاء والابتهال، ومنهم من يحكم غير الشريعة في الدماء والفروج والأموال.

قال الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم آل شيخ رحمه الله: "فكما لا يسجدُ الخلق إلا لله، ولا يعبدون إلا إياه ولا يعبدون المخلوق، **فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلا لحكم الحكيم العليم**".اهـ [تحكيم القوانين ص٢٢].

وقال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "**فالإشراك بالله في حكمه،** كالإشراك به في عبادته".اهـ[1]

وقال الشيخ سيد قطب رحمه الله: "إن الذين يحكمون على **عابد الوثن** بالشرك، ولا يحكمون على **المتحاكم إلى الطاغوت** بالشرك، ويتحرجون في هذه ولا يتحرجون من تلك؛ إن هؤلاء لا يقرؤون القرآن ولا يعرفون طبيعة هذا الدين فليقرؤوا القرآن كما أنزله الله وليأخذوا قوالبه بجد".اهـ [في ظلال القرآن ٨/١٤٦].

والحكمُ في الأموالِ والفُروجِ	**وفي الدِّما بشِرعةِ العُلوجِ**
تحليلُ ما حرَّمهُ المُهيمنُ	**والعكسُ، طغيانٌ وكفرٌ بيِّنُ**
فاعلُه مُبدِّلٌ مشَرِّعُ	**فالوقفُ فيه عِندَنا مستْشْنَعُ!**[2]

٨٣- (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١)).

بعد أن بين الله تعالى إهلاك أهل الأرض قاطبة لما نصروا الشرك والتنديد، وحاربوا الإيمان والتوحيد، وبين نصرة الموحدين القلة من أهل الإسلام،[3] ونجاتهم في الفلك مع نوح عليه السلام، بين أن في ذلك لآية بينة، ولكن الكثرة من الناس غير مؤمنة.

٨٤- (فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩)).

---

(١) انظر: أضواء البيان، تفسير الآية ٢١ من سورة الشورى.

(٢) من منظومة الشيخ أبي محمد عصام البشير المراكشي، المسماة بـ: "قلائد العقيان، بنظم مسائل الإيمان".

(٣) الإسلام بالمعنى العام هو التعبد لله وحده بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة، كما ذكر ذلك في آيات كثيرة من كتابه، تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل، قال الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ) [البقرة: ١٢٨]. وهذا المعني في كلامي أعلاه.

وأما الإسلام بالمعنى الخاص فهو مختص بما بعث به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لأن ما بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم نسخ جميع الأديان السابقة، فصار من اتبعه مسلماً، ومن خالفه بعد مبعثه كافراً. قال الله تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)) [آل عمران].

بين الله تعالى أن قوم عاد: (التي لم يخلق مثلها في البلاد) لما كفروا برب العالمين، أهلكهم عن بكرة أبيهم أجمعين أكتعين أبصعين،[1] فكان في ذلك آية للمؤمنين، ولكن أهل العبرة، في الناس قلة وندرة!

٨٥- (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٥٨)).

بين الله تعالى أن قوم صالح عليه السلام لما تواطئوا على الكفر به وعقر الناقة، أرسل عذابه الأليم لمن حاده وشاقه، فكان في ذلك آية واضحة وبيان، ولكن أكثر الناس لا زالوا يتواطئون على الكفر ومناصرة أهل الأوثان، على القلة من أهل الحق والإيمان..

٨٦- (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤)).

بعد أن بين الله تعالى مصير أهل الإجرام، ونجاة الموحدين مع نبيه لوط عليه السلام، وبين سبحانه وتعالى خذلانه لأقرب الناس لنبيه لما كفروا به، فقال: (فنجيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزا في الغابرين * ثم دمرنا الآخرين * وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين)، بين سبحانه وتعالى أن في ذلك لآية وهداية، ولكن الكثير من الناس أبوا إلا الغواية!

٨٧- (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩٠)).

بعد أن بين الله تعالى إهلاكه للمشركين اللئام، لما كذبوا بنبيه شعيب عليه السلام، بين سبحانه وتعالى أن في ذلك لآية، لأهل البصيرة والدراية، ولكن أغلب الناس، في ضلال والتباس!

٨٨- (هل أُنبِئُكُم عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشياطين (٢٢١) تَنَزَّلُ على كُلِ أفاكٍ أثيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)).

فالكذبة الدجالون أتباع الشياطين، كثر في كل الميادين! فالحذر من الاستماع إليهم أو الإنصات، أو متابعتهم عبر الأثير والقنوات.

وكما أن لفرعون مصر سحرة، فلفراعنة العصر سحرة، هم أكثر من سحرة فرعون مَصر، ولا يخلوا منهم مِصر!

(١) أكتع وأبصع: كلمتان يُؤكد بهما.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجلان من المشرق فخطبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان **لسحراً**) [أخرجه البخاري].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "البيان نوعان؛ الأول: ما يبين به المراد. والثاني: تحسين اللفظ حتى يستميل قلوب السامعين. والثاني هو الذي يشبه بالسحر، **والمذموم منه ما يقصد به الباطل، وشبهه بالسحر لأن السحر صرف الشيء عن حقيقته**".اهـ [فتح الباري ٩/٢٠٣].

فالصبر الصبر في تخطي شبهات الدجاجلة، وعدم التلبس بشيء منها تفصيلاً وجملة! قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "اصبروا فلا بد للشبهات أن ترفع رأسها في بعض الأوقات، وإن كانت مدموغة، وللباطل جولةٌ، وللحقّ صولةٌ، **والدجالون كثير**. ولا يخلوا بلدٌ ممن يضرب البَهْرَجَ على مثل سكَّةِ السلطان!".اهـ [صيد الخاطر ص١٢٤].

***

سورة النمل:

٨٩- (ولَقَد آتينَا دَاوُدَ وسُلَيمَانَ عِلماً **وقالا الحمدُ للهِ الذِي فَضَّلَنَا على كثيرٍ من عِبَادِهِ المؤمنينَ** (١٥)).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم، وأجزل القسم، **وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله المؤمنين** (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)".اهـ

عن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به **وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا**، إلا عوفي من ذلك البلاء كائنا ما كان ما عاش) [أخرجه الترمذي وابن ماجة، وصححه الألباني].

فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به أهل الأهواء والبدع، وفضلنا على كثير ممن خلق، ورفع! قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

فاجعل لقلبك مقلتين كلاهما ... من خشية الرحمن باكيتانِ

لــو شــاء ربــك كنــت أيضــاً مــثلهم　　　فالقلـــب بـــين أصـــابع الـــرحمنِ

٩٠- (أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١)).

عن أحمد بن أبي الحواري رحمه الله قال: سمعت أبا سليمان الداراني رحمه الله يقول: "**لو شك الناس كلهم في الحق، ما شككت فيه وحدي**".اهـ

قال أحمد: "**كان قلبه في هذا مثل قلب أبي بكر الصديق يوم الردة**".اهـ[1] [الحلية ٩/٢٥٦].

وذلك "**إنه يفترض حينئذ أنه خُلق وحده، وكُلف بالحق وحده، وأنه سيحاسب عليه وحده**".اهـ [علو الهمة ص٢٧٣].

٩١- (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ (٧٣)).

قال شيخ المفسرين الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره (وإن ربك) يا محمد (لذو فضل على الناس) بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه وكفرهم به وذو إحسان إليهم في ذلك وفي غيره من نعمه عندهم **(ولكن أكثرهم لا يشكرون) ـه على ذلك من إحسانه وفضله عليهم فيخلصوا له العبادة ولكنهم يشركون معه في العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عندهم ولا إحسان**".اهـ فتأمل أخا الإيمان!

***

سورة القصص:

٩٢- (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٣)).

---

(١) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "لو نزل بالجبالِ الراسياتِ ما نزلَ بأبي بكر لهاضها؛ اشرأبَّ النفاقُ بالمدينة، وارتدت العرب، فوالله ما اختلفوا في نقطةٍ إلا طار بها أبي بحظِّها من الإسلام".اهـ [سير أعلام النبلاء ٢٨/٤٠].

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة؛ أن وعده بنصر الأمة العظيمة، حق لا لبس فيه ولا مراء، ولكن أكثر الناس يُقعدهم العناء، عن مواصلة الطريق الطويل، والثبات على جادة السبيل!

وأما القلة من أهل الإيمان الصادقين، فيوقنون بوعد رب العالمين، على الرغم من قلة عَددهم، وضعف عُددهم!

ولله در أمير المؤمنين في خرسان الملا محمد عمر مجاهد حفظه الله حين قال في بداية الحرب الصليبية على أفغانستان، سنة (٢٠٠١)م : "إن أمريكا وعدتنا بالهزيمة، والله وعدنا بالنصر، فسننتظر أي الوعدين يُنجز. **والله لن يُنجز إلا وعد الله**".اهـ

٩٣- (وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٥٧)).

وهكذا أكثر الناس يريدون أن يدخلوا الجنة بلا بلاء، ولا نصب أو تعب أو عناء! قال الله تعالى: (**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** (٢١٤)) [البقرة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (حجبت النار بالشهوات، **وحجبت الجنة بالمكاره**) وفي رواية عن أنس مرفوعاً، بلفظ: (**حفت الجنة بالمكاره**، وحفت النار بالشهوات) [متفق عليه].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "قد ثبت أنَّ المؤمن بالله كالأجير، وأن زمن التكليف كبياض نهار، **ولا ينبغي للمُستَعمل في الطين أن يلبس نظيف الثياب، بل ينبغي أن يصابر ساعات العمل**، فإذا فرغ تنظّف ولبس أجودَ ثيابه. فمن ترفّه وقت العمل ندم وقت تفريق الأجرة، وعُوقب على التواني فيما كُلّف".اهـ [صيد الخاطر ص٦٧].

وقال شيخنا العلامة عاصم الحافي حفظه الله: "**قليل هم أولئك الذين يدركون حقيقة منهج هذا الدين العظيم وحجم تكاليفه**، فعندما خلق الله الجنة والنار وبعث جبريل ليراهما ورأى الجنة وما فيها من نعيم للوهلة الأولى قال؛ (**والله يا رب لم يسمع بها أحد قط إلا دخلها**)! فلما أن رآها بعد ذلك قد حفت بالمكاره، قال؛ (**والله يا رب خشيت أن لا يدخلها أحد**)! فالطريق الذي أراده الله أن يوصل إلى الجنة ليس مزروعا بالورود والرياحين،

كلا بل هو محفوف بالمكاره والابتلاءات والأذى والدماء، **ولو كان أحد يدخل الجنة دون سلوك هذه الطريق لكان أولى الناس به رسل الله وأنبياؤه الذين اصطفاهم الله من خيرة خلقه، فقد أوذوا وشوهوا وكذبوا: (فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ)**، وهذه الحقيقة يعرفها كل عاقل درس منهج الأنبياء وتاريخ الدعوات، ولذلك فأول كلمات سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن نبيء من ورقة بن نوفل – وكان قد قرأ الكتب السابقة – كانت؛ **(لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي)!** فالذين يحلمون أن يكونوا من ورثة الأنبياء ثم يبحثون عن رضى الناس أو الحكومات لم يفقهوا حقيقة هذا المنهاج...".اهـ.

فمن يظن أنه يدخل الجنة بلا صعاب، كمن يظن أنه يخوض البحر دون أن تبتل الثياب! وقديماً قال بعض الأعراب:

أوردها سعدٌ وسعدٌ مُشتمِلٌ **ما هكذا يا سعدُ تُورَد الإبل!**

قال في مجمع الأمثال عن هذا البيت: "**يُضرب لمن أراد المراد بلا تَعب**، والصواب أن يُقال: **يُضرب لمن قصَّر في الأمر!**".اهـ

وقد سُئل الإمام الشافعي: أيبتلى المرؤ أم يُمكن؟ فقال: "**لا يمكن حتى يبتلى**".اهـ

لا تحسبن المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قال الله تعالى: **(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤))** [السجدة]. **فالصبر واليقين بهما تنال الإمامة في الدين**".اهـ [مجموع الفتاوى ٣/٣٥٨].

وقال العماد ابن كثير رحمه الله: "قال بعضُ العلماء: **بالصبر واليقين، تُنال الإمامة في الدين**".اهـ [تفسير القرآن العظيم ٣/٥٧٢].

وأعرف عدداً من الشباب، يريدون خوض البحر دون أن تبتل الثياب! فحادوا عن الطريق لوعورته وتكاليفه الباهظة! وواجباته الربانية وفرائضه! ومنهم من حدثني عن نفسه بذلك.. وكما قال الأول في ذلك:

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أُدرك المُنى فما انقادتِ الآمالُ إلا لصابرِ

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**مثل الطبع في ميله إلى الدنيا كالماء الجاري؛ فإنه يطلب الهبوطَ، وإنما رفعُه إلى فوق يحتاج إلى التكلف**".اهـ [صيد الخاطر ص١٢].

وقال أبو الطيب المتنبي:

لا يُـدركُ المجـدَ إلا سـيدٌ فطِـنٌ	**لما يَشقّ على الساداتِ فَعّالُ**
لولا المشقةَ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ	**الجودُ يُفقرُ والإقدامُ قتّالُ!**[1]

وقديماً قيل: "**من لم تكن له بداية محرقة، لم تكن له نهاية مشرقة**"، "**ولعلَّ تهذيبي في تعذيبي**".اهـ [انظر: صيد الخاطر ص١٦٣].

فيا أهل السنة والجماعة، إنما النصر صبر ساعة!

وما نيل المطالب بالتمني	**ولكن تُؤخذ الدنيا غلابا**

٩٤- (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً **وَأَكْثَرُ جَمْعًا** وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)).

وهكذا أهل الباطل كلما يزيد عددهم يزيدون في الطغيان، لظنهم -الباطل- أن عددهم وكثرتهم ستغني عنهم من الواحد الديان!

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "مر أبو جهل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي عند المقام فقال: ألم أنهك عن هذا يا محمد! فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو جهل: **بأي شيء تهددني يا محمد! والله إني أكثر أهل الوادي هذا ناديا**. فانزل الله عز وجل: (**فليدع ناديه * سندع الزبانية**).

***

(١) انظر: "ديوان أبي الطيب المتنبي" ص٣٩٤.

سورة العنكبوت:

٩٥- (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ** (٦٣)).

لو تأمل المنصف في حال العقلانيين الذين يعرضون النصوص على عقولهم فما وافقها قبلوه، وما عارضها ردوه، لوجدهم لا يعقلون كما وصفهم بذلك من خلقهم!

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "**وأكثر الخلق: صبيان العقول، أطفال الأحلام**، لم يصلوا إلى حد الفطام الأول عن العوائد، والمألوفات فضلاً عن بلوغ الذي يميز به بين خير الخيرين: فيؤثره، وشر الشرين: فيجتنبه".اهـ [الروح ص٢٢٩].

وفي آخر الزمان يكثر أصحاب العقول الخفيفة، كما جاء في السنة الشريفة، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن بين يدي الساعة الهرج قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل إنه ليس بقتلكم المشركين ولكن قتل بعضكم بعضا، حتى يقتل الرجل جاره ويقتل أخاه ويقتل عمه ويقتل ابن عمه) قالوا: **ومعنا عقولنا يومئذ؟** قال: (**إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنهم على شيء وليسوا على شيء**) [أخرجه ابن ماجة، وأحمد، وابن حبان، وأبو يعلى، وغيرهم، وصححه الألباني].

فالحذر الحذر منهم ومن باطلهم مهما كثروا واشتهروا، وساسوا الناس وظهروا! قال الإمام الذهبي رحمه الله: "**إذا رأيت المُتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث وهات العقل. فاعلم أنه أبو جهل**".اهـ [سير أعلام النبلاء ٤/٤٧٢].

***

سورة الروم:

٩٦- (وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** (٦)).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فإذا أراد المؤمن الذي رزقه الله بصيرة في دينه، وفقهاً في سنة رسوله، وفهماً في كتابه وأراه ما الناس فيه؛ من الأهواء والبدع والضلالات، وتنكبهم عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله وأصحابه.

فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط **فليوطن نفسه** على قدح الجهال وأهل البدع فيه وطعنهم عليه وازدرائهم به، وتنفير الناس عنه، وتحذيرهم منه كما كان سلفهم من الكفار يفعلونه مع متبوعه وإمامه -صلى الله عليه وسلم-، فأما إن دعاهم إلى ذلك، وقدح فيما هم عليه: فهناك تقوم قيامتهم ويبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل. **فهو غريب في دينه لفساد أديانهم، غريب في تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريب في صلاته لسوء صلاتهم، غريب في طريقه لضلال وفساد طرقهم**".اهـ [مدارج السالكين].

هذا الذي وصفه الإمام ابن القيم رحمه الله؛ يصفه المتصوفة بأنه تكفيري، كما يصفه المرجئة بأنه خارجي، والأشاعرة يصفونه بأنه مشبه وحشوي! وهكذا..

قيل أن الإله ذو ولد	قيل أن الرسول تكهنا
ما نجا الله والرسول معاً	من لسان الورى، **فكيف أنا؟!**

ولكن الغريب الثابت على الدين، لا يتضرر بأقاويل المبطلين، فهو يثق بموعود رب العالمين.

٩٧- (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى **وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ** (٨)).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "**اللام للتوكيد** والتقدير: لكافرون بلقاء ربهم على التقديم والتأخير أي لكافرون بالبعث بعد الموت".اهـ فتأمل؛ كم أكد الله تعالى هذه الحقيقة في كتابه، وكم كررها في خطابه!

٩٨- (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** (٣٠)).

فهذا نص من الله متكرر، وعند أهل الحق والصدق متقرر؛ أن تعداد أصحاب الفطرة ممن جمع بين العلم والعمل في الناس قليل، وخاصة في آخر الزمان -كما جاء بذلك الدليل- :

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سيأتي على أمتي زمان؛ **يكثر فيه القرَّاء، ويقل الفقهاء**، ويقبض العلم، ويكثر الهرج..) رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم في مستدركه، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".اهـ

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يأتي على الناس زمان: علماؤها فتنة، وحكماؤها فتنة، تكثر المساجد والقرَّاء، **لا يجدون عالماً إلا الرجل بعد الرجل**) رواه أبو نعيم.

قال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله: "وقد ظهر مصداق هذا الحديث في زماننا: **فقل الفقهاء العارفون بما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكثر القرّاء في الكبار والصغار والرجال والنساء**؛ بسبب كثرة المدارس وانتشارها، والمراد بالقرّاء –والله أعلم– الذين يجيدون القراءة ويقرؤون ما يكتب لهم، وليس في الحديث ما يدل على أن ذلك خاص بالذين يقرؤون القرآن دون الذين يقرؤون غيره من الكتب والصحف والمجلات وغيرها، مما قد كثر في زماننا، وانتشر غاية الانتشار، وشغف به الأكثرون من الكبار والصغار، وأكثر القرَّاء في زماننا قد أعرضوا عن قراءة القرآن، وأقبلوا على قراءة الصحف والمجلات، وقصص الحب والغرام، وغيرها من القصص التي لا خير فيها، وكثير منها مفتعل مكذوب، ومع ذلك؛ فالأكثرون مكبون على القراءة فيما ذكرنا".اهـ [إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ٢/٩٨].

ولما تكلم الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب عن بعض المسائل العقدية، التي جاءت بها السنة النبوية، قال: "إن هذه المسألة **لا يَعرِفُهَا أكثرُ الصحابة!**".اهـ[1] [كتاب التوحيد ص١٨]، فإذا كان أكثر الصحابة لا يعرفون بعض المسائل، كما يقول الشيخ ابن عبد الوهاب في هذه الرسائل؛ فكيف بأكثر أهل زماننا من أهل المنهج العاطل الباطل؟!

٩٩– (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ (٤٢)).

(١) يعني بالمسألة؛ ما تضمنه حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي أخرجاه في الصحيحين، حين قال صلى الله عليه وسلم: (.. وحق العباد على الله أن لا يُعذب من لا يشرك به شيئاً)، وبرهان ذلك أن معاذ بن جبل لما علم ذلك قال: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: (لا تبشرهم فيتكلوا)، فلم يحدث معاذ بهذا الحديث أحداً إلا عند موته تأثماً، فأكثر الصحابة لا يعرفون هذه المسألة معرفة تنظيرية علمية، ولكنهم يعرفونها معرفة تطبيقية عملية، والله أعلم.

وكما قال القائل:

اقـــرؤوا التـــاريخ إذ فيـــه العـــبر ضـــل قـــوم لـــيس يـــدرون الخـــبر!

قال الإمام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١هـ واصفاً زمانه: "... **وغلب الشرك على أكثرِ النفوس لظهورِ الجهل وخفاء العلم** فصار المعروفُ منكراً، والمنكرُ معروفاً، والسنةُ بدعة، والبدعةُ سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، **واشتدت غربةُ الإسلام**، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، **ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحقِ قائمين، ولأهلِ الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرثَ اللهُ سبحانه الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين**".اهـ [زاد المعاد ٣/٥٠٧].

فكن أيها القارئ من العصابة المحمدية، ولا تكترث بفساد الأكثرية، فإن دين الله تعالى باق، وإن ضعف في بعض الأقطار والآفاق.

قال الحافظ ابن حجر في باب (تَغَيُّر الزمان حتى تعبد الأوثان): "قال ابن بطال: **هذا الحديث وما أشبهه ليس المراد به أن الدين ينقطع كله في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء، لأنه ثبت أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة، إلا أنه يضعف ويبقى غريبا كما بدأ**".اهـ

ثم ذكر حديث (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق) الحديث، قال: "**فتبين في هذا الحديث تخصيص الأخبار الأخرى**".اهـ [فتح الباري ١٣/٧٦-٧٧].

***

سورة لقمان:

١٠٠-(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢٥)).

بين الله تعالى في هذه الآية **أن أكثر الخلق لا ينكرون توحيد الربوبية! ولكنهم يشركون به في الإلوهية!** فتجد أحدهم يؤمن بالله تعالى أنه هو الخالق.. الرازق.. المحيي.. المميت..إلخ

لكنه لا يوحد الله في الحكم والتشريع! بل يتحاكم إلى غيره، ويُحكم غير شرعه، (**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**).

فإياك أيها الموحد والترخص والتمييع، والانجرار مع من أشرك بالله في الحكم والتشريع، بحجة أنهم السواد الأعظم في الأمصار، ومن شذ عنهم شذ في النار! قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في أثناء رده على سليمان بن سحيم: "أما استدلالك بالأحاديث، التي فيها إجماع الأمة، والسواد الأعظم، وقول: من شذ شذّ في النار، ويد الله على الجماعة، وأمثال هذا، فهذا أيضاً من أعظم ما تلبس به على الجهال، وليس هذا معنى الأحاديث بإجماع أهل العلم كلهم، **فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الإسلام سيعود غريباً، فكيف يأمرنا بإتباع غالب الناس؟!**

وكذلك الأحاديث الكثيرة، منها قوله: (يأتي على الناس زمان، لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه).

وأحاديث عظيمة كثيرة، يبين صلى الله عليه وسلم أن الباطل يصير أكثر من الحق، وأن الدين يصير غريباً، ولو لم يكن في ذلك، إلا قوله صلى الله عليه وسلم: (ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة) هل بعد هذا البيان بيان؟! يا ويلك! كيف تأمر بعد هذا بإتباع أكثر الناس؟!

ومعلوم: أن أهل أرضنا، وأرض الحجاز، الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقر به، والذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذي يضيع الصلاة أكثر من الذي يحافظ عليها، والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها، فإن كان الصواب عندك: إتباع هؤلاء فبين لنا!

وإن كان عنزة، وآل ظفير، وأشباههم من البوادي، هم السواد الأعظم! ولقيت في علمك وعلم أبيك: أن إتباعهم حسن فاذكروا لنا!

ونحن نذكر كلام أهل العلم، في معنى تلك الأحاديث، ليتبين للجهال الذين موهت عليهم.." .اهـ [الدرر السنية ١٠/٤٢-٤٣].

***

سورة سبأ:

١٠١–(اعملُوا آل دَاوُدَ شُكراً وقَلِيلٌ من عِبَادِيَ الشَّكورُ (١٣)).

فنعم الله كثيرة لا تُحصى كما أخبر الله تعالى، فقال: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [إبراهيم: ٣٤]. وقال: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) [النحل: ١٨].. ولكن من يشكر هذه النعم بالقول والعمل قليل، ويكفيهم –فضلاً– أنهم أحباب لله الجليل.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: "**أحب شيء إلى الله عز وجل الغرباء**".اهـ [رواه عبد الله بن أحمد في زيادات الزهد ص٧٧].

وعند ابن المبارك في الرقائق من رواية نعيم بن حماد، عن عبد الله بن عمرو قال: "أحب شيءٍ إلى الله الغرباء". قيل: أي شيءٍ الغرباُء؟ قال: "الذين يَفرون بدينهم، يجتمعون إلى عيسى ابنِ مريم صلى الله عليه وسلم".اهـ [وانظر: الفتن لنعيم بن حماد ١/٧٧، ومسند الدورقي (٩٤)، والغرباء للآجري (٣٧)].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "**ولقلتهم في الناس جداً سُمُّوا غرباء**..".اهـ [مدارج السالكين].

١٠٢–(وَلَقَد صَدَّق عَلَيهِم إِبلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إلا فَرِيقاً مِنَ المُؤمِنِينَ (٢٠)).

فكثير من الناس اتبعوا إبليس، كما اتبعوا أتباع إبليس، حتى صدق فيهم قول العامة عندنا: "**مع الخيل يا شقراء!**".اهـ

وأصل هذا المثل فيما زعموا: أن رجلاً لديه بعض الخيول، وكان كثيراً ما يخرجها من إسطبلاتها، وقد كانت لديه بقرة شقراء، ما إن ترى الخيول تجري خارج إسطبلاتها إلا وتتبعها، فيقول: **مع الخيل يا شقراء!** فذهبت هذه العبارة مثلاً..

١٠٣–(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨)).

فورثة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه في التبشير والإنذار، ودعوة الناس إلى الجنة وما يقرب إليها وتحذيرهم من النار، قلة قليلة بين ركام الطغام، الذين يخادعون العوام، على المنابر والشاشات، والقنوات والإذاعات..إلخ

عن أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنكم في زمان علماؤه كثير، وخطباؤه قليل، من ترك فيه عشير ما يعلم؛ هوى، **وسيأتي على الناس زمان يقل علماؤه، ويكثر خطباؤه، من تمسك فيه بعشير ما يعلم؛ نجا**) رواه الإمام أحمد، وفيه رجل لم يسم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سيأتي على أمتي زمان يكثر فيه القراء **ويقل الفقهاء**..) [رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم في مستدركه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه].

وعن حزام بن حكيم بن حزام عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنكم قد أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه، قليل خطباؤه، كثير معطوه، قليل سؤاله، العمل فيه خير من العلم، **وسيأتي زمان قليل فقهاؤه**، كثير خطباؤه، وكثير سؤاله، قليل معطوه، العلم فيه خير من العمل) رواه الطبراني في الكبير، وفي إسناده ضعف.[1]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (إنكم في زمان الصلاة فيه طويلة، والخطبة فيه قصيرة،[2] وعلماؤه كثير، وخطباؤه قليل، وسيأتي على الناس زمان الصلاة فيه قصيرة، والخطبة فيه طويلة، خطباؤه كثير، **وعلماؤه قليل**، يؤخرون الصلاة؛ صلاة العشي، إلى شرق الموتى،[3] فمن أدرك ذلك؛ فليصل الصلاة لوقتها، وليجعلها معهم تطوعاً)[1] رواه الطبراني.[2] قال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح".اهـ

---

(١) وفي الجامع الكبير أيضاً بإسناد فيه ضعف عن حزام بن حكيم عن عمه عبد الله بن سعد الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله.

(٢) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مَئِنَّةٌ من فقهِهِ، فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحراً) [أخرجه مسلم].

(٣) قال الجوهري: "وفي الحديث: (يؤخرون الصلاة إلى شرق الموتى)؛ أي: إلى أن يبقى من الشمس مقدار من شرق بريقه عند الموت".اهـ

ورواه الإمام مالك في موطئه عن يحيى بن سعيد بلفظ: "أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لإنسان: (إنك في زمان كثير فقهاؤه، قليل قرَّاؤه، تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه،[٣] قليل من يسأل، كثير من يعطي، يطيلون فيه الصلاة، ويقصرون الخطبة، يبدون أعمالهم قبل أهوائهم، **وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه،** كثير قرَّاؤه، تحفظ فيه حروف القرآن، وتضيع حدوده،[٤] كثير من يسأل، قليل من يعطي، يطيلون فيه الخطبة، ويقصرون الصلاة، يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم)".اهـ

قال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله: "وهذا الحديث له حكم المرفوع لأنه إخبار عن أمر غيبي ومثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف.

.. **وقد ظهر مصداق هذا الحديث في زماننا، فقل فيه الفقهاء،** وكثر فيه القرَّاء، الذين يحفظون حروف القرآن، ويتقعرون في أدائها، ويضيعون حدود القرآن، ولا يُبالون بمخالفة أوامره وارتكاب نواهيه، يطيلون الخطب، ويقصرون الصلاة، ويقدمون أهواءهم قبل

=

(١) عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "سيكون بعدي أئمة يمسون (يؤخرون) الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم سبحة (نافلة)". قال في مجمع الزوائد: " رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط وفيه راشد بن داود ضعفه الدارقطني ووثقه ابن معين ودحيم بن حبان".اهـ

(٢) ورواه البخاري في الأدب المفرد، والحاكم في مستدركه، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".اهـ

(٣) قال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله: "قوله: "تضيع حروفه": ليس معناه على ظاهره، وإنما معناه أنهم لا يتكلفون في قراءة القرآن كما يتكلف كثير من المتأخرين، ولا يتقعرون في أداء حروفه كما يتقعر كثير من المتأخرين، ولا يتوسعون في معرفة أنواع القراءات كما فعل ذلك من بعدهم. والله أعلم".اهـ [إتحاف الجماعة ٢/١٠٤].

(٤) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "هجر القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه. الثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به. والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه.. والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه. والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها.. وكل هذا داخل في قوله: (وقال الرسولُ يا ربِ إن قومي اتخذوا هذا القرآنَ مهجوراً) وإن كان بعض الهجر أهون من بعض".اهـ [الفوائد ص١٠٢].

أعمالهم، وقد رأينا من هذا الضرب كثيراً، فالله المستعان".اهـ [إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ٢/١٠٣-١٠٤].

١٠٤- (وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥)).

قال العباس بن مرداس السلمي:

فما عِظمُ الرجالُ لهم بفخرٍ	ولكن فخرهم كرمٌ وخيرُ
بغاثُ الطير أكثرها فِراخاً	**وأمُّ الصقر مِقلاةٌ نزورُ**[1]

وهكذا أفراخ المرجئة كثر في عامة الأرجاء، أما صقور السلفية فهم قلة بين طوائف المبتدعة وأهل الأهواء.

عن قبيصة عن سفيان –أي:الثوري–، أنه قال: "**كثرة الإخوان من سخافة الدين**".اهـ [سير أعلام النبلاء ٧/٢٧٦].

١٠٥-(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٦)).

فلا يجوز أن يطلب الرزق فيما حرمه الله، أو حرمه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–،[2] أو الركون للذين ظلموا بهذه الحجة الواهية! والزلة الداهية، كما نراه من كثير ممن ينتسب إلى الدعوة، حين يتساقط في هذه الهوة، حيث إنهم يدخلون على الأمراء غير الأمناء، ويكونون لهم جنداً محضرين،[3] وأعواناً مخلصين![1] قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "ثم من

---

(١) نسبها أبو تمام للعباس بن مرداس في كتاب "الحماسة".. ونُسبت إلى غير العباس.

(٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: (ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه، وإن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لا تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، **ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله عز وجل، فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته**) رواه الحاكم، وأبو بكر الحداد، وابن مردويه، وغيرهم، قال الشيخ الألباني: "الحديث حسن على أقل الأحوال".اهـ [السلسلة الصحيحة، حديث رقم: (٢٨٦٦)].

(٣) عقد الإمام ابن الجوزي رحمه الله في كتابه "تلبيس إبليس" فصلاً فقال فيه: ومن تلبيس إبليس على الفقهاء مخالطتهم الأمراء والسلاطين..".اهـ ومن صنف في ذلك أيضاً: الإمام السيوطي رحمه الله، فقد =

تأمل العلماء الذين يعملون لهم في الولايات، يراهم منسلخين من نفع العلم! **قد صاروا كالشُّرط**؛ فليس إلا العزلة عن الخلق، والإعراض عن كل تأويل فاسد في المخالطة، ولأن أنفع نفسي وحدي خيرٌ لي من أن أنفع غيري وأتضرر!".اهـ [صيد الخاطر ص٥٨].

عن عبد الرحمن بن عمرو الأنصاري؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من اقتراب الساعة: كثرة القطر، وقلة النبات، وكثرة القرَّاء، وقلة الفقهاء، **وكثرة الأمراء**، وقلة الأمناء) رواه الطبراني بإسناد ضعيف.

=

كتب جزءاً نافعاً ماتعاً في هذا الباب اسماه: "ما رواه الأساطين، في عدم المجيء إلى السلاطين".. والإمام المنذري أفرد فصلاً في كتابه "الترغيب والترهيب" في كتاب القضاء منه، اسماه: "الترغيب في الامتناع عن الدخول على الظلمة، والترهيب من الدخول عليهم".. والإمام المروذي في كتابه: "أخبار الشيوخ وأخلاقهم".. قال محقق الكتاب: "أهم جانب تطرق إليه الكتاب هو موقف العلماء من مخالطة الحكام والسلاطين".اهـ [ص٢٢-٢٣].. والإمام أبو الليث السمرقندي في كتابه: "تنبيه الغافلين" أفرد باباً بعنوان: "باب مخالطة السلطان".. والإمام ابن عبد البر في كتابه: " جامع بيان العلم وفضله".. والإمام الغزالي في كتابه: "إحياء علوم الدين".. والإمام ابن مفلح المقدسي رحمه الله في كتابه: "الآداب الشرعية" قد عقد فصلاً: "انقباض العلماء المتقين، من إتيان الأمراء والسلاطين" ابتدأه بـ "كان الإمام أحمد رحمه الله لا يأتي الخلفاء ولا الولاة والأمراء، ويمتنع من الكتابة إليهم، وينهى أصحابه عن ذلك مطلقاً، نقله عنه جماعة، وكلامه فيه مشهور". [الآداب الشرعية ٣/٤٥٧-٤٦٧].. والإمام السبكي رحمه الله في رسالته: "معيد النعم ومبيد النقم" عقد فيه فصلاً عن العلماء، وجه لهم فيه النصيحة بعدم التردد على أبواب السلاطين.. والإمام ابن الوزير رحمه الله في كتابه: "العواصم والقواصم" تكلم عن حكم المجيء إلى السلاطين [١٩٠/٨-٢٢٣].. والشيخ الملا علي القاري ألف رسالة في هذا الباب سماها: "تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء"، سرد فيها كثيراً من الأحاديث والآثار في التحذير من الدخول على السلاطين والأمراء.. وفي عصرنا هذا ألف بعض العلماء في ذلك، منهم: الشيخ عبد العزيز البدري رحمه الله، وهو من علماء العراق، ألف كتابه الرائع بحق: "الإسلام بين العلماء والحكام".. أسهب فيه عن مسألة مجيء العلماء إلى الحكام، في (٢٢٠) صفحة.. وأيضاً ممن ألف في هذا الباب من المعاصرين؛ شيخنا الوالد عبد الكريم بن صالح الحميد حفظه الله.. وغيرهم الكثير.

(١) عن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: "**كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة!**".اهـ [انظر: صفة الصفوة ٢٠١/٢].

وقد حذر نبينا صلى الله عليه وسلم أمته فقال: (بَادِرُوا بالأعمال سِتًّا؛ إِمْارَةَ السُّفَهَاءِ **وَكَثْرَةَ الشَّرْطِ** وَبَيْعَ الْحُكْمِ..) الحديث.. وعدّ أموراً. رواه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما عن عابس الغفاري رضي الله تَعَالى عنه وفي رواية (بَادِرُوا بِالْمَوْتِ) بدل (بَادِرُوا بالأعمال)؛ وعابس كان يرى أن هذه الستة قد حدثت في زمانه.. لأجل ذلك تمنى الموت فأنكر عليه ذلك، فحدث بهذا الحديث كما في أصل هذه الرواية. قال الإمام المناوي رحمه الله: "**الشرط أعوان الولاة" وبكثرتهم بأبواب الولاة يكثر الظلم**".اهـ [انظر: فتح القدير ٣/١٩٤].

فإياك أيها القارئ أن تكثر سواد هؤلاء الشرط والأجناد، بحجة القوت والزاد! **فما قُدِّر لماضِغَيْك أن يَمْضَغاه فلا بُدّ أن يَمْضغاه، وَيحك! كُلها بِعزّ ولا تأكلها بِذُلّ!**(١)

١٠٦-(قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١)).

في هذه الآية يبين الله تعالى خطر السحر والشعوذة والكهانة، وخطر تصديق ذلك والمجيء إليهم على الديانة..

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) [أخرجه أحمد]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: (من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) [أخرجه البزار وأبو يعلى].

وعلى الرغم من ذلك فإنك تجد كثيراً من عوام أهل السنة، يتسابقون إلى أبواب السحرة والكهنة، ويتساقطون في أحضانهم لا يبالون، (**أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ**)، قال الإمام الذهبي رحمه الله: "**فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر**..".اهـ [الكبائر ص١٥].

ومما زاد الطين بلة، والمرض علة؛ أن أحد المفتين المفتنين المفتونين -وهو عبد المحسن العبيكان- قد أجاز للعوام فك السحر بالسحر! قال شيخنا العلامة عبد الكريم بن صالح الحميد حفظه الله: "اطلعت على ما شاعَ وذاعَ من كلام عبد المحسن العبيكان في تجويزه

(١) يظن بعض الوعاظ والقصاصين أن هذه الجملة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وهي ليست كذلك.

وإباحته إتيان السحرة لحل السحر! **وهذا أمرٌ خطير يترتب عليه من فساد الاعتقاد، ما لا يُحيط به إلا رب العباد**..".اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قد يطلب الشيطان المتمثل له في صورة الإنسان أن يسجد له، أو أن يفعل به الفاحشة، أو أن يأكل الميتة ويشرب الخمر، أو أن يقرب لهم الميتة، **وأكثرهم لا يعرفون ذلك، بل يظنون أن من يخاطبهم إما ملائكة وإما رجال من الجن يسموهم رجال الغيب**".اهـ [مجموع الفتاوى ١/٣٦١].

***

سورة يس:

١٠٧-(لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٧)).

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله في أثناء كلامه عن موالاة الكفار وموافقتهم، وتعريف الإكراه المعذور به شرعاً، قال: "**وأمّا ما يعتقده كثير من الناس عذراً**، فإنه من تزيين الشيطان وتسويله وذلك أن بعضهم إذا خوّفه أولياء الشيطان خوفاً لا حقيقة له ظنّ أنه يجوز له إظهار الموافقة للمشركين والانقياد لهم.. إلخ". ثم ذكر كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية في صفة الإكراه على كلمة الكفر وأنه لا يكون إلا بالضرب والتعذيب والقتل لا بمجرد الكلام ولا بالتخويف بالحيلولة دونه ودون زوجته أو ماله أو أهله... ثم قال رحمه الله: "**فإذا علمت ذلك وعرفت ما وقع من كثير من الناس تبين لك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) وقد عاد غريباً، وأغرب منه من يعرفه على الحقيقة**، وبالله التوفيق". اهـ [سبيل النجاة].

١٠٨-(وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢)).

قال الإمام الطبري رحمه الله: "يعني تعالى ذكره بقوله (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا): **ولقد صد الشيطان منكم خلقاً كثيراً عن طاعتي وإفرادي بالألوهة**".اهـ

فالشيطان على مر الأجيال؛ جيلاً بعد جيل، لم يستطع أن يضل في "الربوبية" إلا القليل، ولكنه استطاع أن يضل في "الألوهية" العدد الكبير، والجمع الغفير.

ومن أبواب الألوهية: **الحاكمية**. قال الشيخ سيد قطب رحمه الله: "ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه إلى البشر، ومصدر السلطات فيه هم البشر، **هو تأليه للبشر، يجعل بعضهم لبعض أرباباً من دون الله**..".اهـ [في ظلال القرآن ٣/١٤٣٣-١٤٣٤].

وقال الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني في المجلد السادس من السلسلة الصحيحة عند حديث رقم (٢٥٠٧): "**من أصول الدعوة السلفية أن الحاكمية لله وحده**".اهـ

فكن -أيها القارئ- في كل أمورك سلفياً، ولا تكن في بعضها خلفياً!

***

سورة الصافات:

١٠٩-(وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١)).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون)، قال: "**يخبر تعالى: عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم أنه الضلال كما قال تعالى: (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) وقال تعالى: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)** وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل".اهـ

فإياك أيها الموحد أن تكون من جملة أهل الباطل، بل كن عنهم وعن باطلهم خير مائل، فديننا هو الحنيفية، والحنيفية هي الميل عن الباطل وأهله، مهما كثروا وانتشروا على أعم الصعيد وجله، قال العلامة ابن منظور رحمه الله: "**الحنيف: المسلم الذي يتحنف عن الأديان، أي يميلُ إلى الحق**.. ومعنى الحنيفية في اللغة الميل.. وإنما أُخذ الحَنَف من قولهم رجل أَحنف ورِجلٌ حَنفاء، وهو الذي تميلُ قدماه كلّ واحدة إلى أختها بأصابعها".اهـ [لسان العرب ٢/٩٣٠].

وقال الشيخ صفي الرحمن المباركفوري رحمه الله: الـ"حنيف: **هو المائل عن الباطل**".اهـ [منة المنعم في شرح صحيح مسلم ٤/٣٣٣].

ولقد أمرنا الله تعالى بذلك فقال: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ **حُنَفَاءَ**) [البينة: ٥].

وقال الله تعالى: (**وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا** وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يونس: ١٠٥].

وهذه هي ملة إبراهيم التي أُمرنا باتباعها؛ قال الله تعالى: (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا **قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [البقرة: ١٣٥].

وقال أيضاً: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا **وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا** وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران: ٦٧-٦٨].

وقال أيضاً: (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ **فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [آل عمران: ٩٥].

وقال أيضاً: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ **وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) [النساء: ١٩٥].

وقال أيضاً عن إبراهيم: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ **حَنِيفًا** وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام: ٧٩].

وقال أيضاً: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ **دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام: ١٦١].

وقال أيضاً: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ **حَنِيفًا** وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الإسراء: ١٢٠].

وقال أيضاً: (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ **اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الإسراء: ١٢٣].

والحنيفية هي التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسار عليها، ودعا إليها، عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية **ولكني بعثت بالحنيفية السمحة**). [أخرجه أحمد، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (..**إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة**) [أخرجه الترمذي وحسنه الألباني].

وعن علي رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة كبر ثم قال: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض **حنيفاً** وما أنا من المشركين..)". [1]

فإياك أيها الموحد أن تجتالك أو تحتالك أو تختالك شياطين الأنس أو الجان، فيصرفونك عن الحنيفية إلى الخزي والهوان، قال الله تعالى في محكم القرآن: (**حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**) [الحج: ٣١].

فإن الفطرة –أيها الموحد– هي الحنيفية، قال الله تعالى: (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) [الروم: ٣٠].

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: (**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم** وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[2] عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا) [أخرجه مسلم].

***

سورة ص:

١١٠–(قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤)).

---

(١) أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، والدارمي، وأحمد..

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله: "وعن رواية الحافظ أبي علي الغساني: (**فاختالتهم**) بالخاء المعجمة.. قال القاضي: ومعنى: (فاختالتهم) بالخاء على رواية من رواه، أي: يحبسونهم عن دينهم ويصدونهم عنه".اهـ [شرح صحيح مسلم ١٧/٢٨٨].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول في دعائه: **اللهم اجعلني من عبادك القليل**. فقال له عمر: ما هذا الدعاء؟ فقال أردت قول الله عز وجل: (**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم**) فقال عمر: كل الناس أفقه منك يا عمر!

تأمل أيها الغريب؛ إن هناك من يغبطك على غربتك، ويسأل الله أن يشاركك إياها، فإياك إياك أن تبتغي سواها!

عن خلف بن تميم، قال: سمعت سفيان –أي: الثوري– يقول: "**وجدتُ قلبي يصلحُ بين مكة والمدينة، مع قوم غرباء، أصحاب صوف وعَباء**".اهـ [سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٧].

همومُ رجالٍ في أمورٍ كثيرة	**وهمِّي من الدنيا خليلٌ مساعِد**
يكون كروحٍ بين جسمين قُسِّمت	**فجِسمُهُما جِسمانِ والروح واحد**

نعم؛ فاليوم، أصبح من أعظم الهموم، على الغريب، أن يجد له الخل اللبيب، وقديماً **بالغوا** فقالوا: "**ثلاثة لا حقيقة لهم: الغول، والعنقاء، والخل الوفي!**".

لما رأيت بني الزمان وما بهم	خل وفي للشدائد أصطفي
فعلمت أن المستحيل ثلاثة	**الغول والعنقاء والخل الوفي!**

***

سورة الزمر:

١١١–(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ **بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ** (٢٩)).

هذا مثال واضح مبين، لإبطال شرك المشركين، ولكن أكثرهم لا يعلمون، ولا يضر الحق أن لا يعلمه كثير من الناس! فـ: "الحق: حق **وإن استقبحه الناس**، والباطل: باطل **وإن استحسنه الناس!**" [الإحكام لابن حزم ١٩٣/٦].

١١٢–(فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ** (٤٩)).

قال شيخ المفسرين الطبري رحمه الله: "وقوله: (بل هي فتنة) يقول تعالى ذكره: بل عطيتنا إياهم تلك النعمة من بعد الضر الذي كانوا فيه فتنة لهم: يعني بلاء ابتليناهم به واختبارا اختبرناهم به (**ولكن أكثرهم) لجهلهم وسوء رأيهم (لا يعلمون) لأي سبب أعطوا ذلك**".اهـ

فلا تبتئسوا أيها الغرباء، إن رأيتم الدنيا بحذافيرها عند الحقراء! فالدنيا –الدنية– يعطيها الله لمن يحب ويكره، ولكن الدين لا يعطيه الله إلا لمن يحب، قال الله تعالى: (**كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا**) [الإسراء: ٢٠].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**تأملتُ أحوال الفضلاء، فوجدتهم في الأغلب قد بُخسوا من حظوظ الدنيا، ورأيت الدنيا غالباً في أيدي أهل النقائص!**".اهـ [صيد الخاطر ص١٩].

وقال الله تعالى: (**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً** لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا **وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**) [الزخرف: ٣٣ – ٣٥].

قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: "**أي لولا كراهتنا لكون جميع الناس أمة واحدة، متفقة على الكفر، لأعطينا زخارف الدنيا كلها للكفار، ولكننا لعلمنا بشدة ميل القلوب إلى زهرة الحياة الدنيا وحبهاً لها، لو أعطينا ذلك كله للكفار لحملق الرغبة في الدنيا جميع الناس على أن يكونوا كفاراً**". اهـ. [أضواء البيان: ٧/٢٤٨].

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً من شربة ماء**) [أخرجه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني].

ولما صعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك المشربة، فرآى النبي صلى الله عليه وسلم على صعيد قد أثّر في جنبه، ابتدرت عيناه بالبكاء، وقال: "يا رسول الله، كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت صفوة الله من خلقه؟!"، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم متكئاً، فجلس وقال: (أفي شكٍ أنت يا ابن الخطاب؟!)، ثم قال: (**أؤلئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا**)، وفي رواية: (**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟!**). [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**) [أخرجه مسلم].

وقال الله تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) [الروم: ٧].

وروى الإمام ابن جرير وغيره عن ابن عباس في تفسيرها، قال: "**يعرفون عمران الدنيا**، وهم في أمر الآخرة جهال".اهـ

وعن الحسن: "**ليبلغ من حذق أحدهم بأمر دنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه، وما يحسن يصلي**".اهـ[1].

فاعلم –أيها الغريب– أن هذه الزخارف لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة؛ ما حَرَمَ منها سيد خلقه أجمعين، وأعطاها لأعدائه المشركين!

فإياك أن تفارق طريق الحق وتركن للباطل وصروحه، لأجل ما تراه على أهله من سعة وتوسعة وبحبوحة! قال الله تعالى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨)) [آل عمران].

وقال الحسن البصري رحمه الله في الملوك المتجبرين، وأهل الدنيا المترفين: "إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، **فإن ذل المعصية في رقابهم، أبى الله إلا أن يُذلَ من عصاه**".اهـ [شرح حديث ما ذئبان جائعان لابن رجب ص٢٩].

***

سورة غافر:

١١٣–(لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)).

فجهل الأكثرية لما يجب على العباد تجاه الخالق، ليس بمبطل للحق –الذي عليه القلة– أو خارق!

(١) انظر "أضواء البيان" ٦/٤٧٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على حديث: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، **لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم**، حتى تقوم الساعة)[١] ، قال: "وهذا الحديث **يُفيد المسلم أنه لا يغتم بقلة من يعرف حقيقة الإسلام، ولا يضيق صدره بذلك، ولا يكون في شك من دين الإسلام، كما كان الأمر حين بدأ**"[٢].اهـ

١١٤–(إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (٥٩)).

ومن علامات وأشراط الساعة، التي أخبرنا بها صاحب الشفاعة –صلى الله عليه وسلم–: هذه الغربة التي نعيشها، حتى أمسى القلم بيد الجهال، وكممت أفواه خيرة الرجال! كما جاء في الحديث: (إن من أشراط الساعة أن يفشو المال **ويكثر القلم** وتفشو التجارة ويظهر الجهل) وفي رواية: **(ويظهر القلم)** [رواه النسائي في السنن الكبرى والطيالسي].

فكثر الجهال المتصدرين، والكتاب المتفيهقين، في الصحف والمجلات، والمواقع والمنتديات.. وما أجمل ما قاله القروي حين قال:

موسى بكف الطفلِ أو **قلم بكف**   **النذلِ** أو مال بكف الأحمقِ

قال الشيخ المحدث العلامة أحمد شاكر رحمه الله: "نريد أن نحارب النفاق والمجلات الكاذبة، **التي اصطنعها كتّاب هذا العصر أو أكثرهم فيما يكتبون وينصحون!** يظنون أن هذا من حسن السياسة، ومن الدعوة إلى الحق (بالحكمة والموعظة الحسنة) اللتين أمر الله بهما! وما كان هذا منهما قط، وإنما هو الضعف والاستخذاء والملق والحرص على عرض الحياة الدنيا".اهـ [كلمة حق ص١٢].

فكتب الرجل ومؤلفاته الكثيرة، لا تدل على علمه بالضرورة! فضلاً عن أن تتخذ كدليل على صحة طريقه ومسلكه، أو صلاحه ونسكه!

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "رأينا **خلقاً كثيراً** يحرصون على جمع الكتب، فينفقون أعمارَهم في كتابتها، وكدأب أهل الحديث ينفقون الأعمار في النَّسخ والسماع إلى آخر العمر، ثم ينقسمون؛ فمنهم من يتشاغل بالحديث وعلمه وتصحيحه، **ولعلَّه لا يفهم جواب حادثة**، ولعلَّه عنده لحديث: (أسلم سالمها الله) مائة طريق.

---

(١) متفق عليه.

(٢) مجموع الفتاوى ١٨ / ٢٩١ _ ٣٠٥ .

وقد حُكي لي عن بعض أصحاب الحديث أنه سمع جُزء ابن عرفة عن مائة شيخ، وأن عنده سبعين نسخة، ومنهم من يجمع الكتب، ويسمعها، ولا يدري ما فيها؛ **لا من حيث صحتها، ولا من فهم معناها!**".اهـ [صيد الخاطر ص١١٥].

ولله در الحطيئة حين قال في أمثال هؤلاء:

زوامـلُ للأخبـارِ لا علـمَ عنـدها ... بمُتقِلهـا إلا كعلـم الأباعـرِ!

لعمـركَ مـا يـدري البعـيرُ إذا غـدا ... بأوسـاقِهِ أو رَاحَ مـا في الغرائـرِ؟![1]

١١٥-(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٦١)).

لو كان شكر هذه النعم باللسان فقط، لما ضل أحد من الناس قط! ولكن الشكر له تكاليف، وأكثر الناس يميلون للتخفيف!

قال الإمام الغزالي رحمه الله: "وعلى الجملة **فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل، والأوفق لطباعهم**، فإن الحق: مرّ، والوقوف عليه: صعب، وإدراكه: شديد، وطريقه: مستوعر".اهـ [إحياء علوم الدين ١/٧٥].

١١٦-(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)).

فلا ينخدع المسلم بضلال أكثر الناس، ولا يرهب كثرتهم وقوتهم والباس، قال أبو الطيب المتنبي:

غـيري بأكثـرِ هـذا النـاسِ يَنْخَـدِعُ ... إن قـاتلوا جَبُنـوا أو حـدثوا شـجُعُوا[1]

---

(١) قال الله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥)) [الجمعة]. قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: "قد ضرب الله لهؤلاء مثلاً بحال حمار يحمل أسفاراً لا حظّ له منها إلا الحمل دون علم ولا فهم".اهـ [التحرير والتنوير ٢٨/١٩١].

***

سورة فصلت:

١١٧-(بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٤)).

قال الإمام الطبري رحمه الله: "وقوله: (فأعرض أكثرهم) يقول تعالى ذكره: فاستكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله **وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيرا لهم ونذيرا وهم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم** (فهم لا يسمعون) يقول: فهم لا يصغون له فيسمعوه إعراضا عنه واستكبارا".اهـ

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إنما الناس كإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة**)، وفي رواية: (**تجدون الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة**) [متفق عليه].

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله: "الراحلة النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره، فهي كاملة الأوصاف فإذا كانت في إبل عرفت".اهـ [شرح صحيح مسلم للنووي ١٦-١٥٢].

قال الإمام الأزهري رحمه الله: "معنى الحديث أن الزاهد في الدنيا، الكامل في الزهد فيها، والرغبة في الآخرة؛ **قليل جداً، كقلة الراحلة في الإبل**".اهـ [شرح صحيح مسلم للنووي ١٦-١٥٢]. فإذا كان ذلك في القرون المفضلة، فكيف بقرون الأبواق المضللة؟!

فليحذر السالك من أن يعد القلة عيباً، أو أن تُنشئ بداخله شكاً وريباً! ولقد قال السموأل، في الزمن الأول:

تُعيرُنا بأنا قليلٌ عديدُنا	**فقلتُ لها: إن الكرامَ قليلُ!**
وما ضرَّنا أن قليلٌ وجارنا	**عزيزٌ، وجارُ الأكثرينَ ذليلُ[٢]**

=

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ص٢٨٦.

(٢) انظر: تاريخ الآداب العربية ١/٩٢، وأروع ما قيل في الفخر ص٦٥.

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**الكمالُ عزيز، والكاملُ قليلُ الوجود**".اهـ [صيد الخاطر ص١٩٥].

***

سورة الزخرف:

١١٨-(لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨)).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "**(ولكن أكثركم للحق كارهون)**؛ أي ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه وتصد عن الحق وتأباه وتبغض أهله فعودوا على أنفسكم بالملامة، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة".اهـ

ولقد قال رجل لابن المبارك رحمه الله: بقي من ينصح؟ قال: "**فهل بقي من يقبل؟!**" [حلية الأولياء ٤/٨٦].

عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: "كيف بك إذا بقيت إلى زمان شاهدت فيه ناساً لا يفرقون بين الحق والباطل، **ولا بين المؤمن والكافر**،(١) ولا بين الأمين والخائن، (١) ولا بين الجاهل والعالم،(٢) ولا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً(٣)".اهـ [الإبانة ١/١٨٨].

---

(١) لقد وقع في هذا كثير من طلاب العلم اليوم، ممن أغلقوا باب التكفير –الشرعي– بالكلية، فلم يلتفتوا إليه، بل حذروا منه، ونفروا عنه.. ففوتوا على أنفسهم أحكاماً كثيرة تترتب على إستبانة سبيل المجرمين من سبيل المؤمنين، خذ مثلاً:

١ – في أحوال الحكام وما يتعلق بهم :

حيث تجب موالاة الحاكم المسلم ونصرته وطاعته ، ولا يجوز الخروج عليه أو منازعته ما لم يظهر كفراً بواحاً ، والصلاة خلفه والجهاد معه مشروع براً كان أو فاجراً ، ما دام في دائرة الإسلام محكماً لشرع الله، والسلطان المسلم ولي من لا ولي له من المسلمين .

أما الحاكم الكافر فلا تجوز بيعته ولا تحل نصرته ولا موالاته ، أو معاونته، ولا يحل القتال تحت رايته ، ولا الصلاة خلفه ولا التحاكم إليه ، ولا تصح ولايته على مسلم، وليس له عليه طاعة ، بل تجب منازعته والسعي في خلعه والعمل على تغييره ، وإقامة الحاكم المسلم مكانه ..

٢ – وفي أحكام الولاية :

=

=

لا تصح ولاية الكافر على المسلم ، فلا يصح أن يكون الكافر والياً أو قاضياً للمسلمين ، ولا إماماً للصلاة بهم، ولا تصح ولايته على مسلمة في نكاح ، ولا ولايته أو حضانته لأبناء المسلمين ، ولا وصايته على أموال الأيتام منهم ونحو ذلك .

٣ – وفي أحكام النكاح :

لا يجوز نكاح الكافر من المسلمة ولا يكون وليها في النكاح، وإذا نكح مسلم مسلمة ثم ارتد بطل نكاحه وفرق بينهما . ولا يجوز خطبة المسلم على أخيه المسلم حتى يذر بخلاف الكافر .

٤ – وفي أحكام المواريث :

اختلاف الدين مانع من التوارث عند جماهير العلماء .

٥ – وفي أحكام الدماء والقصاص :

لا يقتل مسلم بكافر، وليس في قتل الكافر المحارب أو المرتد، عمداً أو خطأ كفارة ولا دية ، والمسلم بخلاف ذلك .

٦ – وفي أحكام الجنائز :

لا يصلى على الكافر ولا يغسل ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ولا يجوز الاستغفار له ولا الترحم عليه ولا القيام على قبره بخلاف المسلم.

٧ – وفي أحكام القضاء :

لا تصح ولاية القضاء للكافر ، ولا يجوز شهادة الكافر على المسلم، ولا يحل التحاكم إلى القاضي الكافر المحكم لقوانين الكفر، ولا تنفذ أحكامه شرعاً ولا يترتب عليها آثارها .

٨ – وفي أحكام القتال :

يفرق بين قتال الكفار والمشركين والمرتدين ، وبين قتال المسلمين من البغاة والعصاة ؛ فلا يتبع مدبرهم ولا يجهز على جريحهم ولا تغنم أموالهم ولا تسبى نساءهم ونحو ذلك مما يفعل ويستباح في قتال الكفار ، والأصل في دم المسلم وماله وعرضه ، العصمة بالإيمان، أما الكافر فالأصل فيه الإباحة إلا أن يعصم بالأمان ونحوه .

٩ – وفي أحكام الولاء والبراء :

تجب مولاة المسلم ولا تجوز البراءة الكلية منه ، وإنما يتبرأ من معاصيه، وتحرم مولاة الكافر أو نصرته على المسلمين أو إطلاعه على عوراتهم، بل تجب البراءة منه وبغضه ولا تجوز موادته.

٨ – وفي أحكام البيوع والمعاملات :

=

قال الإمام ابن بطة رحمه الله معلقاً على قول الفضيل: "فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإنا قد بلغنا ذلك وسمعناه، وعلمنا أكثره وشاهدناه، ولو أن رجلاً ممن وهب الله له عقلاً صحيحاً، وبصراً نافذاً؛ فأمعن نظره، وردد فكره، وتأمل أمر الإسلام وأهله، **وسلك بأهله الطريق الأقصد، والسبيل الأرشد: لتبين له أن الأكثر، والأعم، والأشهر من الناس قد نكصوا على أعقابهم، وارتدوا على أدبارهم، فحادوا عن المحجة، وانقلبوا عن صحيح الحجة.**

=

لا يجوز بيع المسلم على بيع أخيه المسلم، وله أن يكون وكيلاً على ممتلكات أخيه، ويجوز له أن يشاركه ويفاوضه، أما الكافر فيجوز البيع على بيعه، ولا يكون المرتد وكيلاً على ممتلكات المسلم –عند الأحناف–، ولا يجوز للمسلم أن يشاركه –عند الشافعية والأحناف–، ولا يفاوضه –عند الأحناف–.

إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الأمر الخطير والمتأثرة به، فما هذا إلا غيض من فيض ، قصدنا به التمثيل والتنبيه، والأدلة على ذلك كله معلومة معروفة في مظانها من كتب الفقه وغيرها .

فمن لم يميز بين الكافر والمسلم، وجعل الكل في نظره مسلمين، مهما ارتكبوا من نواقض للإسلام ؛ التبس عليه أمره ودينه في ذلك كله .

ولك أن تتأمل ما يترتب من مفاسد ومحاذير ومنكرات بسبب خلط أحكام المسلمين بأحكام الكفار فيما تقدم من الأمثلة وقد قال تبارك وتعالى في شيء من ذلك : (**إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**) [الأنفال : ٧٣].

(١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيأتي على الناس سنوات خداعات؛ يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة) قيل: وما الرويبضة؟ قال: (الرجل التافه يتكلم في أمر العامة). وفي رواية: (الفويسق يتكلم في أمر العامة) [أخرجه ابن ماجة وأحمد، وصححه الألباني وحسنه شعيب الأرنؤوط].

(٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، **ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جُهّالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)** [متفق عليه].

(٣) عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين؛ على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، **والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هراه)** [أخرجه مسلم].

ولقد أضحى كثر من الناس يستحسنون ما كانوا يستقبحون، ويستحلون ما كانوا يحرمون، ويعرفون ما كانوا ينكرون".اهـ[الإبانة ١/١٨٨].

قلت: وكأن الإمام ابن بطة رحمه الله يعني بالفقرة الأخيرة، أسراب المتراجعين المرتكسين في الحيرة! الذين تنكروا لما كانوا يؤصلونه قبل أعوام، وهدموا ما كانوا يبنونه بإحكام! (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا) [النحل: ٩٢]. نعوذ بالله من الحور بعد الكور..[(١)]

***

سورة الدخان:

١١٩-(مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٩)).

(١) عن عبدالله بن سرجس قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد **الكون**..". [أخرجه مسلم]. قال الإمام النووي رحمه الله: " قوله: (والحور بعد الكون) هكذا هو في معظم النسخ من صحيح مسلم (بعد الكون) **بالنون**، بل لا يكاد يوجد في نسخ بلادنا إلا بالنون، وكذا ضبطه الحفاظ المتقنون في صحيح مسلم. قال القاضي: وهكذا رواه الفارسي وغيره من رواة صحيح مسلم. قال: ورواه العذري: **(بعد الكور) بالراء**. قال: والمعروف في رواية عاصم الذي رواه مسلم عنه بالنون. قال القاضي: قال إبراهيم الحربي: يقال إن عاصماً وهم فيه وإن صوابه (الكور) بالراء. **قلت: وليس كما قال الحربي، بل كلاهما روايتان. وممن ذكر الروايتين جميعاً الترمذي في جامعه وخلائق من المحدثين، وذكرهما أبو عبيد، وخلائق من أهل اللغة وغريب الحديث. قال الترمذي بعد أن رواه بالنون: ويروى بالراء أيضاً. ثم قال: وكلاهما له وجه.**

قال ويقال: **هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الطاعة إلى المعصية، ومعناه الرجوع من شيء إلى شيء من الشر**. هذا كلام الترمذي، وكذا قال غيره من العلماء: معناه بالراء والنون جميعا الرجوع من الاستقامة، أو الزيادة إلى النقص. قالوا: ورواية الراء مأخوذة من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها، ورواية النون مأخوذة من الكون مصدر كان يكون كوناً إذا وجد واستقر. قال المازري في رواية الراء: قيل أيضاً: معناه أعوذ بك من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا فيها يقال: كار عمامته إذا لفها، وحارها إذا نقضها. وقيل: نعوذ بك من أن تفسد أمورنا بعد صلاحها، كفساد العمامة بعد استقامتها على الرأس. وعلى رواية النون قال أبو عبيد: سئل عاصم عن معناه؟ فقال: ألم تسمع قولهم حار بعد ما كان، أي أنه كان على حالة جميلة فرجع عنها".اهـ [شرح صحيح مسلم ٩/١٥٨-١٥٩].

قوله تعالى: (ما خلقناهما) أي السماوات والأرض، وقوله تعالى: (إلا بالحق) قال الإمام القرطبي رحمه الله: "أي إلا بالأمر الحق؛ قاله مقاتل. وقيل: إلا للحق؛ قاله الكلبي والحسن. وقيل: **إلا لإقامة الحق وإظهاره من توحيد الله والتزام طاعته وقد مضى هذا المعنى في الأنبياء (ولكن أكثرهم) يعني أكثر الناس (لا يعلمون) ذلك**".اهـ

فإذا عرفت الحق الذي من أجله خُلقت السماوات والأراضين، فالتزمه وإن كان أهل الأرض كلهم غير راضين!

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "قيل لبعض أهل البلاء: ادع الله بالعافية، فقال: **أحبُّهُ إليَّ أحبُّهُ إلى الله عز وجل.**

إن كـــان رضــــاكم في ســـهري	**فســــلامُ الله علــــى وسَـــنِي**"[1]

فإن رضيت أيها السالك، بما رضيه الله تعالى لك؛ أصبحت المحنة –عندك– منحة، والنقمة –لديك– نعمة! قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

والحـــق منصـــور وممـــتحن فـــلا	تعجـــب فهـــذي ســـنة الـــرحمنِ
وبـــذاك يظهـــر حزبـــه مـــن حربـــه	**ولأجـــل ذلـــك النـــاس طائفتـــانِ**

***

سورة الجاثية:

١٢٠–(قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٦)).

إن من أنصف نفسه، عمل بالصالحات قبل أن يُوضع في رمسه، ولم يلتفت إلى كثرة الهلكى والمتساقطين، في أحضان أعداء الله المشركين! فإن الساعة ساعتان؛ صغرى وكبرى، ومن مات فقد حانت ساعته![1]

(١) صيد الخاطر ص٦٧

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "الواجب على العاقل أخذ العُدَّة لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمرُ ربه، ولا يدري متى يُستدعى، **وإني رأيتُ خلقاً كثيراً غرَّهم الشباب، ونسوا فَقد الأقران، وألهاهم طول الأمل**، ولربما قال العالم المحض لنفسه: أشتغل بالعلم اليوم، ثم أعمل به غداً، فيتساهل في الزلل بحجة الراحة، ويُؤخِّر الأهبة لتحقيق التوبة، ولا يتحاشى من غيبةٍ أو سماعها، ومن كسبِ شبهةٍ يأمل أن يمحوها بعمل في غد وينسى أن الموت قد يبغَت، فالعاقلُ من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه، فإن بغته الموتُ رؤي مستعداً، وإن نال الأمل ازداد خيراً".اهـ [صيد الخاطر ص١٤-١٥].

ومن أمارات القيامة، تلك الأمارة الواضحة والعلامة، وهي: ما نعيشه اليوم واقعاً ونشاهده؛ ونلامسه حقاً ونجده؛ كثرة الأمريكان والبريطان وأتباعهما وأشياعهما.. فعن المستورد الفهري رضي الله عنه أنه قال لعمرو بن العاصي رضي الله عنه: (تقوم الساعة **والروم أكثر الناس**). فقال له عمرو بن العاصي: أبصر ما تقول. قال: أقول ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم..[٢] [أخرجه مسلم وأحمد].

وعن عبد الرحمن بن جبير: أن المستورد رضي الله عنه قال: بينا أنا عند عمرو بن العاصي، فقلت له: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أشد الناس عليكم الروم، وإنما هلكتهم مع الساعة). فقال له عمرو: ألم أزجرك عن مثل هذا؟ [رواه أحمد، وفي إسناده ابن لهيعة].

=

(١) عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: (إن يعش هذا لا يدركه الهرم **حتى تقوم عليكم ساعتكم**). قال هشام: **يعني موتهم**. [أخرجه البخاري].

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله: "هذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم، وقال: عبد الكريم لم يدرك المستورد فالحديث مرسل. قلت: لا استدراك على مسلم في هذا لأنه ذكر الحديث محذوفه في الطريق الأول من رواية علي بن رباح عن أبيه عن المستورد متصلاً، وإنما ذكر الثاني متابعة، وقد سبق أنه يحتمل في المتابعة ما لا يحتمل في الأصول، وسبق أيضاً أن مذهب الشافعي والمحققين أن الحديث المرسل إذا روي من جهة أخرى متصلاً احتج به وكان صحيحاً، وتبينا برواية الاتصال صحة رواية الإرسال، ويكونان صحيحين بحيث لو عارضهما صحيح جاء من طريق واحد وتعذر الجمع قدمناهما عليه".اهـ [شرح صحيح مسلم ١٨/٣١-٣٢].

صدق رسول الله المعصوم؛ فها نحن اليوم، نشاهد كثرة الروم، وأذناب الروم، من كل ظلوم غشوم، **إلا أننا لا نخاف في الله أي لوم!** قال أبو الطيب المتنبي:

وسوى الرومِ خلفَ ظهرِكَ رُومٌ فعلى أيّ جانبيكَ تميلُ![(١)]

نسأل الله أن يثبتنا على الحق وإن كنا قلة، ويعصمنا من الخور والجبن والذلة..

***

سورة الحجرات:

١٢١-(إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (٤)).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "(أكثرهم لا يعقلون) أي إن الذين ينادونك **من جملة قوم الغالب عليهم الجهل**".اهـ

وما أكثر الجهل والجهلة في زماننا! ممن في الأصول والفروع يخالفنا.. وما أجمل قول أبي العلاء المعري حين قال:

لما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلتُ حتى ظُنّ أني جاهلُ!

وقد روي: (ارحموا ثلاثة : عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، **وعالماً بين جُهّال**) [رواه ابن حبان في صحيحه].

ومع أن هذا الأمر محنة، إلا أن في طياته منحة، وذلك كما قال الإمام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله: "**اعلم وفقنا الله وإياك أنه لولا كثرة جهلة العوام مستنكري الحق ورأيه بالجهالة؛ لما بانَ فضلُ عالم على جاهل! ولا تبين علمٌ من جهل**".اهـ [انظر: التقرير المفهم على التمييز لمسلم ص٧].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "تأملتُ الأرض ومن عليها بعين فكري **فرأيت خرابَها أكثرَ من عُمرانها، ثم رأيت المعمور منها فوجدتُ الكفار مستولين على أكثره، ووجدتُ**

---

(١) انظر: ديوان أبي الطيب المتنبي ص٤١٠.

أهـل الإسـلام في الأرض قليـلاً بالإضـافة إلى الكفـار، ثم تأملـتُ المسـلمين، فرأيـت الأكسابَ قد شغلتْ جمهورهم عن الرَّزَّاق، وأعرضت بهم عن العلم الدالِّ عليه".اهـ [صيد الخاطر ص٤٠].

وقد بين الله تعالى أن كل سبيل غير سبيل الأنبياء والمرسلين هو سبيل الجهل والجهالة، وإن ادعى أصحابه العلم والعدالة، فقال الله تعالى: (فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ **سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**) [يونس: ٨٩].

قال الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله: "وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل، **في أناس قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل!** فحسبنا الله ونعم الوكيل".اهـ [التذكرة].

وقال أيضاً: "**وقد قل من يعتني بالآثار وحملتها في هذا الوقت**، في مشارق الأرض ومغاربها.. أما المشرق وأقاليمه فغلق الباب، وانقطع الخطاب، والله المستعان، وأما المغرب وما بقي من جزيرة الأندلس، فيندر من يعتني بالرواية كما ينبغي، فضلاً عن الدراية".اهـ [التذكرة، والسير].

وقال أيضاً: "فأين علم الحديث؟! وأين أهله؟! **كدت أن لا أراهم إلا في كتاب، أو تحت تراب!**".اهـ

هذا في زمن شمس الدين،[1] فماذا يقال في زمن طمس الدين؟!

***

سورة الطور:

١٢٢-(وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٧)).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "(وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك) أي قبل ذلك في الدار الدنيا، كقوله تعالى: (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) ولهذا قال تعالى: **(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب**

---

(١) توفي الإمام الذهبي رحمه الله عام ٧٤٨هـ الموافق لعام ١٣٧٤م.

لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يراد بهم بل إذا جلى عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه؛ كما جاء في بعض الأحاديث: (إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير لا يدري فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه) وفي الأثر الإلهي: كم أعصيك ولا تعاقبني؟ قال الله تعالى: يا عبدي كم أعاقبك وأنت لا تدري؟".اهـ

وأي عقاب وأي كرب؛ أشد من حبسه عن اللحاق بالركب؟!

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**إني تدبَّرت أحوال أكثر العلماء والمتزهدين، فرأيتهم في عقوباتٍ لا يحسُّون بها، ومعظمها من قِبل طلبهم للرياسة، فالعالم منهم يغضب إن ردَّ عليه خطؤه، والواعظ متصنع بوعظه، والمتزهد منافق أو مراء.**

فأول عقوباتهم إعراضهم عن الحقّ، **شُغلاً بالخلق!** ومن خفيّ عقوباتهم سلبُ حلاوة المناجاة، ولذةِ التعبد".اهـ [صيد الخاطر ص١٤]. فنعوذ بالله؛ من عقاب الله..

***

سورة الواقعة:

١٢٣-(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤)).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "(ثلة من الأولين) أي من أول هذه الأمة، **(وقليل من الآخرين) يسارع في الطاعات حتى يلحق درجة الأولين، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (خيركم قرني)**".اهـ

فإذا طالعت تاريخ الأولين العريق، **واستحضرت أنك لست بأوحد في الطريق**، بل معك من سبقك عليه، ودلك -بعد الله- إليه؛ فحينئذ ستزول عنك الوحشة، وتفارقك الوساوس الهشة..

قال نعيم بن حماد: "**إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ**".اهـ [رواه البيهقي وغيره].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إنّ : "كون النبي قاتل معه أو قُتل معه ربيون كثير **لا يستلزم أن يكون النبي معهم في الغزاة**، بل كل من اتبع النبي وقاتل على دينه، فقد

قاتل معه، وهذا الذي فهمه الصحابة، فإن أعظم قتالهم كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، حتى فتحوا البلاد شاماً ومصراً وعراقاً ويمناً وعجماً وروماً ومغرباً ومشرقاً، وحينئذ ظهر كثرة من قُتل معه، فإن الذين قاتلوا وأصيبوا وهم على دين الأنبياء كثيرون، **ويكون في هذه الآية عبرة لكل المؤمنين إلى يوم القيامة، فإنهم كلهم يقاتلون مع النبي صلى الله عليه وسلم وعلى دينه، وإن كان قد مات. وهم داخلون في قوله: (محمد رسول الله والذين معه) الآية، وفي قوله: (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم) الآية، فليس من شرط من يكون مع المطاع أن يكون مشاهدا للمطاع ناظراً إليه**".اهـ [مجموع الفتاوى].

ولله در الإمام المبارك، عبد الله بن المبارك، حين رغب عن مجالسة جماهير أهل زمانه، وانكب على قراءة سير الصدر الأول عليهم رحمة الله ورضوانه؛ قال شقيق البَلخي رحمه الله: "قيل لابن المبارك: إذا أنت صلَّيت لم لا تجلِسُ معنا؟ قال: **أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنعُ مَعكم؟! أنتم تغتابون الناس**".اهـ [سير أعلام النبلاء ٣٩٨/٨].

وتذكر –أخي الموحد– أنك –وإن كنت وحدك– لكنك مع الله فأنت أكثر منهم جميعاً، وبذكرك لذلك يزول عنك الهم سريعاً. فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**الله أكثر**) [رواه الترمذي وصححه الألباني].

وقال خداش بن زهير، فأحسن القول والتعبير:

رأيتُ اللهَ أكبرَ كُلِّ شيءٍ ... مُحَاولةً، وأكثرَهُمْ جُنُودا[1]

ولما خرج موسى عليه السلام هارباً من قوم فرعون انتهى إلى مدين ، على الحال التي ذكر الله، وهو وحيد غريب خائف جائع، فقال: (يا رب **وحيد** مريض **غريب**، فقيل له: **يا**

---

(١) قال الله تعالى: (**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ** وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) [المدثر: ٣١].

موسى، الوحيد: من ليس له مثلي أنيس، والمريض: من ليس له مثلي طبيب، **والغريب: من ليس بيني وبينه معاملة)** .

"وقيل لبعضهم: ألا تستوحش؟ قال: **كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني؟!** وقال آخر: **وهل يستوحش مع الله أحد؟** وعن بعضهم: **من استوحش من وحدته فذلك لقلة أنسه بربه**. وكان يحيى بن معاذ كثير العزلة والانفراد فعاتبه أخوه فقال له: إن كنت من الناس فلا بد لك من الناس، فقال يحيى: **إن كنت من الناس فلا بد لك من الله**. وقيل له: إذا هجرت الخلق مع من تعيش؟ قال: **مع من هجرتهم له**. وأنشد إبراهيم بن أدهم:

هجرت الخلق طراً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتني في الحب إرباً لما حن الفؤاد إلى سوكا

وعوتب ابن غزوان على خلوته فقال: إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي". اهـ [كشف الكربة في وصف أهل الغربة ص١٤].

وائنس بربك واعلمن بأنه عون لما تريد يسدد الإخلالا

يعطي ويثني بالعطاء تفضلاً بعد الثواب ويبسط الآمالا

من ذا يريد مع الود مؤنساً من ذا يريد لغيره أشغالا

من ذا يلذ بغير ذكر مليكه من ذا يريد لغيره إعمالا

لا تقنعن من الحياة بغيره وابذل قواك وقطع الأوصالا

وقال شيخنا عاصم الحافي حفظه الله: "**وليعلم أن أهل الحق أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي ولاسيما في هذه الأزمنة المتأخرة التي ازداد الحق فيها غرابة.. والموحد البصير لا يستوحش من قلة الرفيق إذا استشعر قلبه معية الله تعالى، وتذكر السالكين لهذه الطريق من الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.. وقبل ذلك فالحق لا يعرف بالرجال.. وإنما**

(١) كتاب "الغرباء" للآجري ص٥٧.

يعرف الرجال بالحق.. وهو ضالة المؤمن ومبتغاه.. فشمّروا وبادروا، والله ولي المتقين".اهـ [كشف النقاب عن شريعة الغاب ص١٧٣].

وكنت مرة مع أحد أحبابي في الله، -ممن إذا أدبر عنك اشتاقت له العيون، وإذا اقبل عليك تفرش له الجفون، وهو بين هذا وذاك محله سويداء الفؤاد، ولا يسد محله في القلب ساد!- فقال لي بعد أن رأى ببصره عزة إخواننا في بقاع شتى، ورأى ببصيرته أننا معهم قلباً وقالباً، قال: "**هل نحن حقاً غرباء؟!**"، ثم أجاب فقال: "**يُخطئ من يقول إننا غرباء!**".اهـ

***

سورة الحديد:

١٢٤-(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ **وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**(١٦)).

وهكذا كل ما يطول الأمد تقس قلوب الكثير، فتزداد غربة أهل الصلاح والخير؛ قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "**والدين كل ما له في غربةٍ ونقصانٍ والله المستعان**".اهـ [إعلام الموقعين ٢/٢٥٧].

وقال الشيخ حسين ابن غنام، بعد أن ذكر ما عليه أكثر الأنام: ".. وإذا رأى أفعالهم كل عارف بالإيمان، وشاهده بالروية والعيان، **تبين له غربة الدين في هذا الزمان، وزاد بصيرة في دينه وإيقان**، وجدَّ في طاعة سيده ومولاه، وحمده على ما خوله وأعطاه، وسارع في خدمته ورضاه، وبادر إلى القيام بوظائف العبودية فيما أمره ونهاه، وأكثر من شكره على ما منحه من فضله وحباه، وجعله من حزبه الفائزين الذين هم لديه مقربون (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣)) [يونس]، وتحدث لدى الناس بنعمة الله، وألزم بذلك جنانه ولسانه وفاه، ونادى برفيع صوته وفاه: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (٨٥)) [يونس]، وسأل ربه ودعاه، فهو الذي أنقذه من الضلال، وسلك به سبيل الهداية والنجاة، وقال في الدعاء والمناجاة: (ربِ فلا تجعلني في القوم الظالمين (٩٤) وإنا على أن نُريك ما نعدهم لقادرون (٩٥)) [المؤمنون].".اهـ [تاريخ ابن غنام ١/١٣].

١٢٥-(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦)).

فالرجل الغريب في طريق الرشاد، ينوي بزواجه تكثير السواد، عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال: (لا). ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: (**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم**)، وفي رواية: (**تزوجوا الودود الولود إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة**) [أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد وصححه الشيخان الألباني والأرنؤوط].

قال العظيم آبادي رحمه الله: "أي مفاخر بسببكم سائر الأمم **لكثرة أتباعي**".اهـ [عون المعبود ٦/٣١].

وقد بوب البخاري في صحيحه: "**باب من طلب الولد للجهاد**"، وأخرج فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال سليمان بن داود عليهما السلام **لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله** فقال له صاحبه: قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله[1] فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون)..

قال الإمام النووي رحمه الله: "**هذا قاله على سبيل التمني للخير، وقصد به الآخرة والجهاد في سبيل الله تعالى، لا لغرض الدنيا**".اهـ [شرح صحيح مسلم ١١/١٧٤].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "**إني لأكره نفسي على الجماع كي تخرج مني نسمة تسبح الله تعالى**".اهـ [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال ٢/٥٧٣].

ولكن قد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن! وقد يقدر الله بخلاف ما يأمل اللبيب الفطن! فيُخرج من صلب الحي ميتاً! كما قال الله تعالى: (وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) [آل عمران: ٢٧].. وقد خاطب الله نبيه بقوله: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [القصص: ٥٦].

---

(١) وفي رواية مسلم في صحيحه: (فلم يقل **ونسى**).

فعندها تزداد غربة هذا الغريب الفرد، ويساهم الأبناء في رهقه حتى يشتد، كما قال الله تعالى: (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) [الكهف: ٨٠].

قال محمد بن الحسين رحمه الله: "**من أحب أن يبلغ مراتب الغرباء فليصبر على جفاء أبويه وزوجته وإخوانه وقرابته.**

فإن قال قائل: فلم يجفوني وأنا لهم حبيب، وغمهم لفقدهم إياي شديد؟

قيل: لأنك خالفتهم على ما هم عليه من حبهم الدنيا وشدة حرصهم عليها، ولتمكن الشهوات من قلوبهم ما يبالون ما نقص من دينك ودينهم إذا سلمت لهم بك دنياهم، فإن تابعتهم على ذلك كنت الحبيب القريب، **وإن خالفتهم وسلكت طريق أهل الآخرة باستعمالك الحق جفا عليهم أمرك، فالأبوان متبرمان بفعالك، والزوجة بك متضجرة فهي تحب فراقك، والإخوان والقرابة قد زهدوا في لقائك**..".اهـ [الغرباء للآجري ص٣٨].

١٢٦–(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ **وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** (٢٧)).

وقد جاء في بعض الأناجيل،[1] ما يدل على قلة أتباع عيسى عليه السلام بعد مبعثه إليهم، وأنهم غرباء حتى في بيوتهم! ففي إنجيل لوقا (١٢/٥١–٥٣):"أتظنون أني جئت لأحل السلام في الأرض؟ أقول لكم: لا بل الانقسام، **فيكون بعد اليوم خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة منهم على اثنين واثنان على ثلاثة**.. الخ".

وجاء ما يدل على قلة العاملين للدين، من بين جميع العالمين، كما في إنجيل متى (٩–١٠): "ولما رأى –أي عيسى عليه السلام– الجموع امتلأ قلبُهُ بالشفقة عليهم، لأنهم بائسين

(١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**..) [الحديث؛ أخرجه البخاري].

وعن أبي نملة الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله ورسله. فإن كان باطلاً لم تصدقوه، وإن كان حقاً لم تكذبوه**) [رواه أبو داود وأحمد، وحسنه الأرنؤوط].

مشتتين مثل غنم لا راعي لها، فقال لتلاميذه: **الحصاد كثير، ولكن العمَّال قليلون. فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل عُمّالاً إلى حصاده!**".اهـ

وهذا الوصف شاهدناه نحن اليوم في بيوتات أهل الإسلام، بل قد تفاقم الانقسام؛ فإذا كان أهل البيت خمسة، **فقد تجد أربعة منهم على واحد، وواحد على أربعة!**

فالحق فرقان؛ وقد جاء في وصف النبي من عدنان –صلى الله عليه وسلم– أنه: **(فرق بين الناس)** أخرجه البخاري، وفي رواية: **(فرّق بين الناس)**.

وهذا التفريق بين أهل الحق على قلتهم، وبين أهل الباطل على كثرتهم، إحدى العوامل التي جعلت مشركي العرب، يتهمون نبينا صلى الله عليه وسلم بالسحر والعطب، قال عملاق الدعوة الشيخ سيد قطب: "فهو كما كانوا يدعون يسحرهم، ويغلب عقولهم، ويفسد حياتهم، **ويفرق بين الوالد وولده، والزوج وزوجه.**

ولقد كان القرآن يفرق نعم، ولكن بفرقان الله بين الإيمان والكفر، والهدى والضلال. كان يستخلص القلوب له، فلا تحفل بوشيجة. فكان هو الفرقان".اهـ [في ظلال القرآن ٥/٣١٢٠].

***

سورة نوح:

١٢٧–(وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالا (٢٤)).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "(وقد أضلوا كثيرا) هذا من قول نوح **أي أضل كبراؤهم كثيرا من أتباعهم** فهو عطف على قوله: (ومكروا مكرا كبارا) وقيل: **إن الأصنام أضلوا كثيرا أي ضل بسببها كثير** نظيره قول إبراهيم: **(رب إنهن أضللن كثيرا من الناس)** فأجرى عليهم وصف ما يعقل لاعتقاد الكفار فيهم ذلك".اهـ

فكثرة الأتباع لشخص من الأشخاص، لا تدل على صحة طريقته وصدقه والإخلاص!

***

سورة التكاثر:

١٢٨- ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "أي شغلكم المباهاة بكثرة المال **والعدد** عن طاعة الله حتى متم ودفنتم في المقابر.

وقيل (ألهاكم): أنساكم (التكاثر) أي من الأموال **والأولاد**، قاله ابن عباس والحسن. وقال قتادة: أي التفاخر بالقبائل والعشائر .. **والتكاثر: المكاثرة**. قال مقاتل وقتادة وغيرهما: **نزلت في اليهود حين قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان. ألهاكم ذلك حتى ماتوا ضلالا**..

وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي: نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف وبني سهم، تعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام؛ فقال كل حي منهم: **نحن أكثر سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا وأكثر عائذا فكثر بنو عبد مناف سهما ثم تكاثروا بالأموات فكثرتهم سهم**، فنزلت: (ألهاكم التكاثر) بأحيائكم فلم ترضوا: (حتى زرتم المقابر) مفتخرين بالأموات.

وروى سعيد عن قتادة قال: **كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان ونحن أعد من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم**.. قلت: **الآية تعم جمع ما ذكر وغيره**".اهـ [مختصراً من الجامع لأحكام القرآن].

وقول الإمام القرطبي حين قال: "الآية تعم جمع ما ذكر **وغيره**".اهـ، وقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله حين قال: "وكذلك قوله تعالى: (ألهاكم التكاثر) فحذف المتكاثر به **ليعمَّ جميع ما يقصد الناس فيه المكاثرة**".اهـ [القواعد الحسان ص٤٢]. دليل على أن الآية تشمل أهل البدع الذي يتفاخرون بكثرتهم، ويستدلون على صحة طريقهم بعددهم!

الخاتمة –نسأل الله حسن الخاتمة–:

وصف الإمام عبد العزيز بن يحيي الكناني المتوفى سنة (٢٤٠هـ) واقعهم، فقال: "كان الناس في ذلك الزمان في أمر عظيم، **قد منع الفقهاء، والمحدثون، والمذكرون، والدعاؤون من القعود في الجامعين ببغداد، وفي غيرهما من سائر المواضع**، إلا بشراً المريسي، ومحمد بن الجهم، ومن كان موافقاً لهما على مذهبهما، فإنهم كانوا يقعدون، ويجتمع الناس إليهم، فيعلمونهم الكفر والضلال. وكل من أظهر مخالفتهم، وذم مذهبهم، أو أتهم بذلك أحضر، فإن وافقهم، ودخل في كفرهم، وأجابهم إلى ما يدعونه إليه ترك، وإلا قتلوه سراً، وحملوه من بلد إلى بلد..".اهـ [الحيدة ١٠-١١]. فإن كان هذا واقعهم في ذلك العصر الغابر، فما عسى أن يُقال في واقعنا المعاصر؟!

ولكن لا ضير، فلا بد من تبدل المجريات والسير، فمن المحال دوام الحال، وكما جاء في: (تاريخ الإسلام) (١٠/٢٢٦/رقم:١٥٣) ترجمة: محمد بن عبيد الله بن علي، أبي الحسن العلوي الحسيني البلْخي: "ومن نثره: .. **ليس للفسوق سوق**، ولا للرياء رُواء".اهـ

فما على القارئ حين يقرأ هذه السطور، إلا السعي لما يرضي الله الغفور، وإن خالفه أهل الأرض في كل مكان، بعربهم وعجمهم والإنس والجان..

عن عبد الله بن جعفر قال: "لما توفي أبو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ماشيا على قدميه يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فانصرف فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وهواني على الناس أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري **إن لم تكن غضباناً علي فلا أبالي** غير أن عافيتك أوسع لي) وفي رواية: (إن **لم يكن بك غضب علي فلا أبالي**)، وفي رواية: (**إن لم تكن ساخطا علي فلا أبالي**).[1]

فليتك تحلو والحياة مريرة	**وليتك ترضى والأنام غضاب**
وليت الذي بيني وبينك عامر	**وبيني وبين العالمين خراب**
إذا صح منك الود فالكل هين	**وكل الذي فوق التراب تراب**

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات".اهـ

وكتب معاوية إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن اكتبي إلي كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي. فكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية: "سلام عليك، أما بعد: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس،**[1] **ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**[2])[3] والسلام عليك". [رواه الترمذي، والبزار، وابن حبان، وقال: إسناده حسن. وصححه الألباني].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه في سخطه، **ومن أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه من أسخطه في رضاه حتى يزينه ويزين قوله عمله في عينه**)[4].

إذا رضـــي الإلـــه فـــلا أبالي أقـــام الحـــي أم ســـخط الأمـــير!

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "**العاقلُ من يحفظ جانبَ الله عزَّ وجلَّ وإن غضب الخلق، وكلُّ من يحفظ جانب المخلوقين، ويضيّعُ حقَّ الخالق، يقلِّب الله قلبَ الذي قصد أن يرضيه، فيسخطه عليه. قال المأمون لبعض أصحابه: لا تعص الله بطاعتي، فيسلِّطني عليك...**

وعلى ضدِّ هذا؛ كلُّ من يراعي جانب الحق والصواب يرضى عنه من سخط عليه..".اهـ [صيد الخاطر ص١٧٢-١٧٤ مختصراً].

---

(١) قال الإمام أبو العلا المباركفوري رحمه الله: "(كفاه الله مؤنة الناس) لأنه جعل نفسه من حزب الله، وهو لا يخيب من التجأ إليه، ألا إن حزب الله هم المفلحون".اهـ [تحفة الأحوذي ١٤٢/٧].

(٢) قال الإمام أبو العلا المباركفوري رحمه الله: "(وكله الله إلى الناس) أي: سلط الله الناس عليه، حتى يؤذوه ويظلموا عليه".اهـ [تحفة الأحوذي ١٤٢/٧].

(٣) وفي لفظ: (من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس).

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن سليمان الحفري وقد وثقه الذهبي في آخر ترجمة يحيى بن سليمان الجعفي".اهـ

"فالتفتوا إخواني إلى إصلاح النيات، وترك التزين للخلق، ولتكن عمدتكم الاستقامة مع المالك، **فبذلك صعِد السلف وسعدوا، وإياكم وما الناس عليه اليوم، فإنه بالإضافةِ إلى يقظةِ السلف نومٌ**".اهـ [صيد الخاطر ص١٧١].

نعوذ بالله من الخزي والندامة، ونسأله الأمن والسلامة، فـ: (**إن الأكثرين هم الأقلين يوم القيامة**)[١]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين.

وكتب: تركي بن مبارك بن عبد الله البنعلي

تم بفضل الله في عيد الفطر المبارك من سنة ١٤٣١ لهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

(الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد). [٢]

لقد زادني حبّاً لنفسي أنني ... بغيضٌ إلى كلِ امرئٍ غير طائلِ

وأني شقيٌّ باللئامِ ولا ترى ... شقياً بهم إلا كريم الشمائلِ[٣]

(١) جزء من حديث أبي ذر الذي رواه مسلم في الترغيب في الصدقة.

(٢) تنبيه: لقد أضفت عليه بعد هذا التاريخ بعض ما وقفت عليه من فوائد وفرائد، وشواهد وشرائد.

(٣) انظر: ديوان الحماسة ١/٧٦-٧٧، وأروع ما قيل في الفخر ص٤٦.